وأكمل وهو يحدّق في عينيها: وخروجك سالمة من هذه البلاد.

أجهشت « ايفانا » بالبكاء.. وربت « ماجد » عليها مهوّناً فتمالكت نفسها.. وغادرت السيارة وقد استعادت رباطة جأشها.. وعادت بعد دقائق وهمست لماجد: انني في العربة الثامنة بالمقصورة العاشرة.. أين ستكون أنت بالقطار؟

رد بثقة: قلت لك لا تشغلي بالك بي.. تأكّدي أننا سنكون داخل القطار معاً.. انه لن يستطيع أن يقلع بدوني!

قالت « ايفانا » بقلق: لم يعد هناك سوى خمس دقائق على قيام القطار.. إنني ذاهبة.

وغابت عن عينيه.. وفي لحظات كان « ماجد » يغادر السيارة ويختفي داخل المحطة الواسعة بعيداً عن رقابة العيون المبثوثة في كل مكان.

° ° °

اطلق القطار صفارته الأخيرة.. وضغط السائق فوق أجهزة تسيير القطار فبدأ في التحرّك بمهل..

كان من العجيب للسائق أن مساعده لم يظهر حتى تلك اللحظة.. فقد أرسله لأحضار زجاجة « فودكا » من أحد المحال داخل المحطة ولم يعد الغبي حتى تلك اللحظة، والقطار لا يمكن أن ينتظر أحداً

في « موسكو » وخاصة أن تأخير نصف دقيقة قد يعني فصله من عمله، فالنظام شيء مقدّس في تلك البلاد.

وفكّر السائق في أنه إذا ما ضبطت الشرطة مساعده ومعه زجاجة الفودكا فانه سيتبرّأ من الأمر وسيقول إن الزجاجة كانت للمساعد وليس له.. وهو ــ السائق ــ لن يموت على أي حال لو لم يشرب الفودكا تلك المرة.. إنها قد تُنسيه طول الطريق، ولكن اذا تم ضبطه وهو يشرب داخل القطار فربما يقضي سنوات في السجن، حيث لن يجد ما يحتسيه سوى كرات الثلج المجروشة!

ارتجف بدنه لذلك الخاطر، وجفّف حبة عرق انسالت على جبهته برغم الجو القارس البرودة، واطلق القطار العنان فشرع يلتهم الطريق الحديدي الذي يشقّ بطن الجليد كثعبان لا نهاية لامتداده واستقامته.

قُرع الباب المؤدّي إلى حجرة القيادة.. وتنفّس السائق الصعداء وهو يقول لنفسه : ها هو الغبي قد عاد أخيراً ومعه الفودكا.. لسوف يصير كل شيء رائعاً ككل مرة.

فتح السائق الباب وهو يهم بالسباب نحو مساعده فأدهشه الوجه القمحي المليء بالشحم والذي كان يرتدي ملابس المساعد.. ومدّ صاحب الوجه القمحي زجاجة الفودكا للسائق.. وقبل أن يهم السائق بالقاء الأسئلة الحائرة التي طافت في عقله أقنعته زجاجة الفودكا ألا يفعل.. عندما تحطّمت فوق رأسه فأخرسته بطريقة مؤثرة!

أزاح « ماجد » السائق جانباً وأرقده فوق الأرضية اللامعة ووضع بجواره زجاجة فودكا فارغة وجدها بأحد الأركان.. وكان هذا المنظر كفيلاً بأن يجعل من يراه يظن أن السائق شرب الفودكا حتى فقد صوابه!

وعلى الفور احتل « ماجد » مكان السائق، شأن أي مساعد سائق قطار مخلص لم يشأ أن يخذل رئيسه الذي غرق في النوم، فشرع في اتمام العمل وحده كأحسن ما يكون المساعد الكفء!

• • •

توقّف القطار في أول محطة بمدينة « كالنين » بعد ثلاث ساعات.. كان كل شيء يجري في هدوء وحركة صعود وهبوط الركاب عادية.. وأطلق « ماجد » صفارة قيام القطار الأخيرة، ثم شرع في ادارة أجهزة تسيير القطار عندما لمعت اللمبات الحمراء أمامه في مقدّمة الحجرة.. وكان هذا يعني أمراً بالتوقّف من السلطات.

وأدرك « ماجد » أن هناك ما يريب.. وأن القطار سيخضع للتفتيش.. وكان بقاؤه في مقصورة القيادة خطراً، فسوف يكتشف أول من يحاول محادثته أنه يجهل الروسية.. ولعل مساعد السائق الذي تركه « ماجد » داخل دورة المياه في محطة « موسكو » فاقد الوعي، واستولى منه على ملابسه وزجاجة الفودكا قد استعاد وعيه وأبلغ السلطات بالقصة كاملة.

على الفور خلع « ماجد » ملابس المساعد وأسرع يغادر حجرة القيادة إلى رصيف المحطة، وشاهد هناك رجال الشرطة وهم يتّجهون إلى حجرة القيادة فتأكّد من صحة ظنونه.. ولحسن حظّه شاهد « ايفانا » واقفة على الرصيف فأشار إليها اشارة خفية أن تلحق به في بوفيه المحطة.

همست « ايفانا » « لماجد » متسائلة : ماذا حدث؟

ردّ « ماجد » بصوت خفيض : يبدو أنهم اكتشفوا الأمر بطريقة ما.. يجب أن نغادر المحطة فوراً.. وأرخى قبعته فوق وجهه، وتأبّط ذراع نجمة الباليه التي راحت تحيّي معجبيها الذين أحاطوا بها في شبه مظاهرة، فتمكّن « ماجد » من الخروج معها بدون أن يرتاب أحد فيهما بفضل ابتسامات « ايفانا » الساحرة التي راحت تلقيها على رجال الشرطة هنا وهناك.

وانطلق الاثنان عبر الحقول الواسعة التي غطّاها الجليد، وتساءلت بحيرة : أين نحن ذاهبان؟

تطلّع « ماجد » حوله بحيرة وقال : لا أدري.

ولمع على البعد مبنى عريض يشبه المطار وطائرة صغيرة مروحية تقلع منه فتألّقت عينا « ماجد » وهتف بانفعال : يبدو أننا حسنو الحظ.. هيا بنا.

وأسرع الاثنان يعدوان نحو سور المطار.. وكان هناك حارس

قريب بمدفع « كلاشنكوف » سريع الطلقات اقترب منهما مرتاباً.. وما أن وقع بصره على « ايفانا » حتى حدّق فيها بدهشة وخفض مدفعه ونطق بشيء ما باللغة الروسية عندما تعرّف على « ايفانا » فجاوبته « ايفانا » بابتسامة عريضة فقفز الحارس بسعادة غامرة لا يصدّق عينيه لمشاهدة نجمة الباليه في ذلك المكان المقفر.. وكان هذا هو آخر ما فعله الحارس فوق كوكب الأرض ثم حلّق بعدها في السموات السبع، إذ ارسلته ضربة « ماجد » العنيفة في بطنه إليها، مما كان لا يُنتظر هبوطه منها إلى الأرض مرة أخرى قبل ساعات!

تجاوز الاثنان الأسوار بسرعة، واقترب « ماجد » من طائرة صغيرة مروحية ذات مقعدين من طراز « راكوتا » القديمة والتي كانت مستعملة في الحرب العالمية الأولى، وهتف « ماجد » وهو يركب الطائرة : هيا يا « ايفانا ».

تردّدت « ايفانا » وهي تتمعّن في الطائرة وقالت بقلق : أتظن أن هذه الطائرة آمنة؟

رد بلا مبالاة : سنكتشف ذلك حالما نطير بها.

وأقنعها باسماً قبل أن تحتجّ : ليس أمامنا فرصة أخرى فلا توجد طائرات « جامبو » في هذا المطار.. كما أننا لم نخبر المسئولين هنا مسبقاً بسفرنا حتى يحجزوا لنا مقعدين في

مقصورة فاخرة بطائرة الخطوط السوفيتية، وهكذا ترين أننا لا نستطيع أن نلوم أحداً إلا أنفسنا!

التفتت « ايفانا » إلى « ماجد » باسمة، وحسمت تردّدها وصعدت الطائرة.. وأدار « ماجد » محرّكها الوحيد وشرع يدرج بها فوق المطار ثم ارتفع بها إلى الفضاء.

ومن أسفل تعالى صياح وجلبة بعض العاملين في المطار.. وشرع أحدهم على الفور ينقل رسالة بما حدث إلى المسئولين.

* * *

تساءلت « ايفانا » بقلق والطائرة تشقّ السحاب : كم سيستغرق وصولنا إلى « لينينجراد »؟

رد ماجد : ليس أقل من ساعة.. إنها طائرة بطيئة.. كما لو كانت سيارة نقل مفكّكة الجدران، وربما كانوا يستخدمونها في نقل الأبقار إلى أن احتجت الأبقار!

غمغمت ايفانا : المهم أن نصل سالمين.

وتلفّتت حولها بقلق وهي تتساءل : أين توجد مظلات النجاة؟

رد ماجد : لا أعتقد أنهم كانوا قد اخترعوها بعد، عندما اخترعوا هذه الطائرة!

هتفت بذعر : وماذا ستفعل إذا ما أصاب هذه الطائرة عطب ما؟

وأجابها ماجد : أولى بك أن توجّهي هذا السؤال إلى من اخترع هذه الطائرة وليس لي!

حدّقت « ايفانا » في « ماجد » بذعر حقيقي، ثم انكمشت في مقعدها بصمت وجزع وعيناها معلّقتان بالفضاء في الخارج، وراحت الطائرة تترنّح وتهتزّ في طيرانها كأنها تقفز فوق مطبّات وهمية.

وفجأة هتفت في ذعر وأصبعها يرتعد وهي تشير جهة الشرق : انظر.

التفت « ماجد » بسرعة فبدت له على البعد ثلاث طائرات مقاتلة سريعة من طراز « ميج ٢١ ».

قطب « ماجد » جبينه قائلاً : أعتقد أنهم جاءوا في أثرنا.

صرخت « ايفانا » في رعب : هل سيطلقون علينا الرصاص؟

ماجد: لا أظن.. إن طائرات « الميج ٢١ » لا تطلق إلا الصواريخ!

ولم يكد يتم عبارته حتى انطلقت ثلاثة صواريخ من الطائرات الثلاث المهاجمة، وصرخت « ايفانا » في فزع لا حد له كطفلة ترى شبحاً يخرج إليها من الظلام.. وعلى الفور انحرف « ماجد » بطائرته « الداكوتا » لأعلى فتحاشى الصواريخ الثلاثة التي ارتطمت بالأرض وانفجرت بصوت مدوّي..

واستدارت الطائرات الثلاثة وعاودت هجومها من الخلف وهي
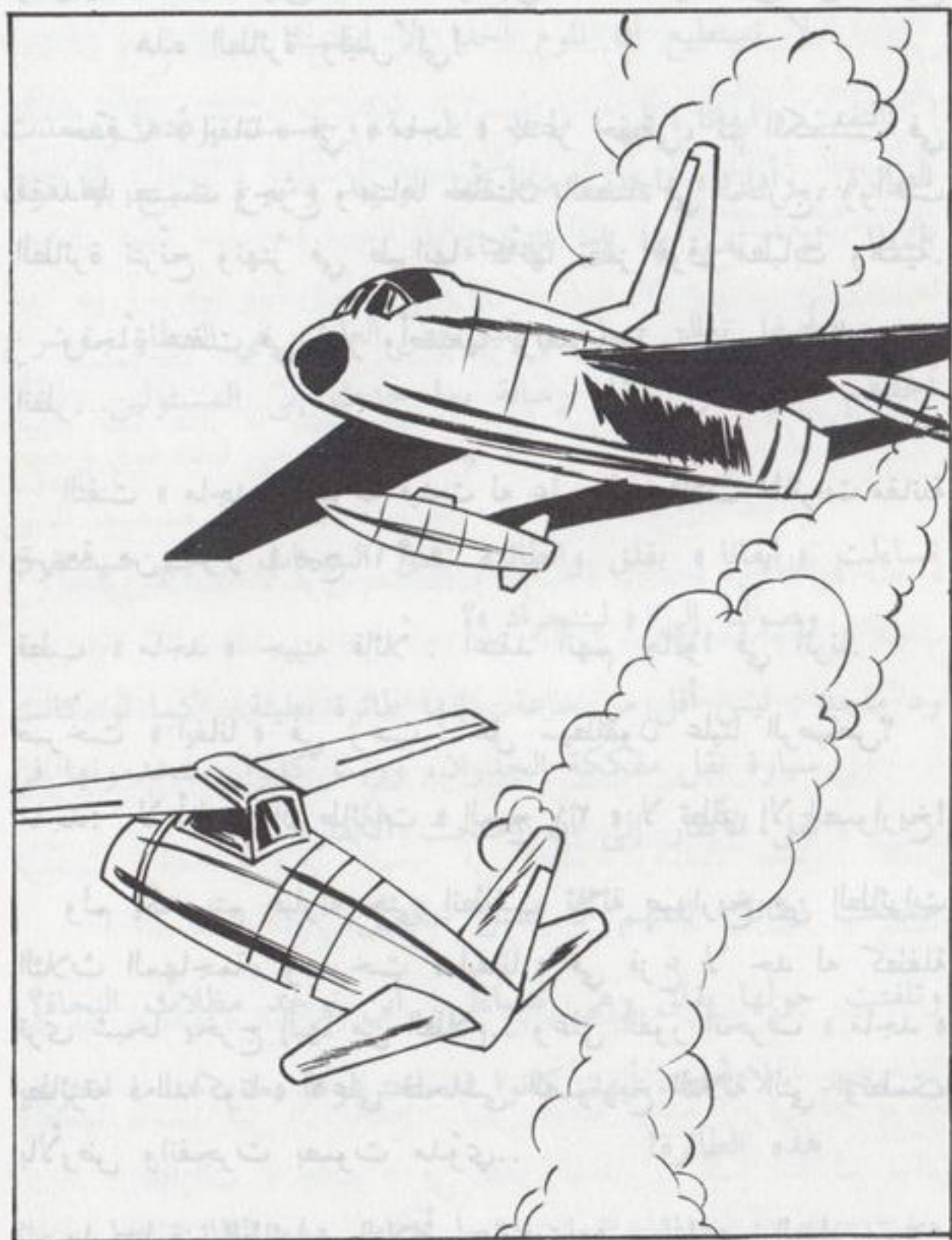
تضيّق الخناق على الطائرة « الداكوتا » الصغيرة البطيئة في شكل نصف دائرة، وبدت « الداكوتا » أمامها كيمامة فزعة هاربة توشك ثلاثة من النسور على الانقضاض عليها وافتراسها.

وحالما انطلقت الصواريخ من طائرات « الميج » اندفع « ماجد » هابطاً بطائرته لأسفل بسرعة بالغة بحركة بهلوانية حتى أن « ايفانا » انكفأت على وجهها.. ونجح « ماجد » في الافلات من الصواريخ الثلاثة.. ولكن احدى الطائرات شرعت في مناورة ماهرة خلف « الداكوتا » وأطلق قائدها صاروخاً آخر.. وأدرك « ماجد » الخطر المحدق به فمال بالطائرة الصغيرة في حركة بهلوانية بالغة الخطورة، وانحرف الصاروخ في آخر لحظة ومسّ جناح الطائرة الأيسر وحطّمه.

صرخت « ايفانا » برعب وهي تشاهد الجناح المحترق : إن الطائرة.. سوف تنفجر ونموت.

وبالفعل فقدت الطائرة توازنها.. وشرعت في الانحدار نحو الأرض بسرعة بالغة والدخان يتصاعد منها في شكل ذيل طويل..

وما لبثت الطائرات « الميج » الثلاثة أن مرقت في السماء عائدة إلى ثكناتها.. بعد أن قامت بمهمتها خير قيام!

ooo

« العبور.. بطريقة الطيور المهاجرة »!

صرخت « ايفانا » في ذعر هائل وأخفت وجهها والطائرة تندفع نحو رؤوس الأشجار بقوة، وكان الاصطدام بها مؤكّداً، خاصة وقد فقد « ماجد » السيطرة على الطائرة المحترقة المترنّحة بشدّة.

وبذل « ماجد » محاولة أخيرة فدفع بذراع التوازن إلى أقصى جهة اليسار.. وارتجّت الطائرة لحظة ومالت جهة اليمين بزاوية حادة لتنجو من الاصطدام بالأشجار ولكنها اندفعت نحو الأرض بقوة، ودفع « ماجد » عجلة القيادة للخلف بقوة فاعتدلت مقدّمة الطائرة ومسّت الأرض مساً خفيفاً واندفعت تجري فوق الجليد القاسي الذي كان أشبه بالمرآة المصقولة، ثم اصطدمت بنتوء جليدي أطاح بالجناح الأيمن فنثره إلى أشلاء.. وتوقّفت الطائرة في مكانها لشدّة الضربة بعد أن دارت حول نفسها دورة عنيفة حطّمت ذيلها ثم انغرزت عجلاتها وسط الجليد.

كانت « ايفانا » لا تزال تبكي وتنتحب وجسدها ينتفض رعباً،

ومن المؤسف أنه فاتها أن تشهد ذلك الهبوط المثير اليائس الذي كُلّل بالنجاح وانتهى بالطائرة الراقدة فوق الجليد بلا جناحين أو ذيل.

لمس « ماجد » كتف « ايفانا » برقة وهو يقول : لقد هبطنا يا سيدتي.. ومن المؤسف أنهم لم يعلموا بوصولنا وإلاّ كان هناك وفد رسمي لاستقبالنا بأطواق الورود!

تطلّعت « ايفانا » حولها بدهشة بالغة فطالعها الجليد والغابات حولها فاتّسعت عيناها غير مصدّقة وصرخت بفرحة طاغية : لقد نجونا.. لقد نجونا.. يا إلهي.. إنك بارع.. أشد الناس الذين قابلتهم في حياتي براعة وشجاعة.

واندفعت نحو « ماجد » تطوّقه بشدّة ودموعها منهمرة بقوة فربت عليها قائلاً : لا يزال أمامنا الكثير، وفّري دموعك فقد نحتاجها في موقف آخر يتطلّب البكاء!

وغادر الاثنان مقعديهما، وتعاونا في دفع الطائرة نحو الغابات الكثيفة لاخفائها، وتطلّعت « ايفانا » حولها وأشارت إلى نقطة في الشمال قائلة بانتصار : « لينينجراد ».. انها على مسافة أقل من ثلاثة كيلومترات.

تساءل « ماجد » مندهشاً : أأنت واثقة؟

ردت بثقة وعيناها تتألّقان : كيف لا أكون واثقة وقد ولدت في

هذه المدينة العظيمة، لقد قضيت أغلب طفولتي في هذا المكان.. هيا بنا.

وراح الاثنان يسيران فوق الجليد وهما يجاهدان لإتّزان أنفسهما، وبعد وقت اقتربا من مشارف المدينة ثم تجاوزاها إلى الداخل.

وبدأ الثلج يسقط فوقها فأخذت « ايفانا » ترتجف بشدّة، كان الجو بارداً، قارس البرودة، وقد تدنّت الحرارة لأكثر من خمسة وعشرين درجة تحت الصفر.

همست « ايفانا » وهي ترتعد.. انني أكاد أتجمّد.

خلع « ماجد » سترته وغطّى بها رفيقته فنظرت إليه بشكر عميق وتطلّعت إلى قميصه الخفيف فوق جسده وقال باسماً : لا عليك.. لقد درّبونا على درجة برودة أكثر من هذه.

غمغمت وهي تضغط فوق يديه برفق : انك لم تخيّب ظن من أرسلك إلى هنا.. ولا أظنّك خيّبت ظن أي انسان اعتمد عليك من قبل ووضع ثقته فيك.

— هذا صحيح تماماً يا سيدتي.. وهم عادة يرسلونني إلى المهام التي لا يريدون مني أن أخيّب ظنّهم فيها أبداً، والتي لا يتوقّع أن ينجح في أدائها شخص آخر.

وشرعا يخترقان طرقات المدينة الهادئة الواسعة، وقادت « ايفانا »

« ماجد » إلى منزل قريب وقالت له : إن لدينا صديقاً هنا.

وطرقت باب المنزل، ففتحته سيدة عجوز. وما أن شاهدت « ايفانا » حتى اندفعت تحتضنها بشدّة وهي تبكي وتتحدّث بالروسية بسرعة.. وسرعان ما شملهما المكان الدافئ وأسرعت العجوز تضع أمامهما الطعام والشوربة الساخنة قالت « ايفانا » « لماجد » باسمة : إنها والدتي بالتبنّي.. إنها واحدة من القلائل الذين يعرفون سر مولدي وهي تعيش هنا وحيدة بعد وفاة زوجها أبي بالتبني.

تساءل « ماجد » بشيء من القلق : ألا تخشين أن تشي بنا و..

فقاطعته « ايفانا » وهي تنظر الى المرأة العجوز ذات الوجه الطيب : إنك لا تعرفها.. إنها تحبّني كما لو كنت ابنتها.. لقد كانت هذه المرأة هي همزة الوصل بيني وبين أخي كل هذه السنين.. تأتيها رسائله فتحملها إليّ في « موسكو » متحمّلة مشاق الطريق.. إنني أحبها كما لو كانت أمي تماماً.

ورانت لحظات من الصمت وأغمضت « ايفانا » عينيها بارهاق فربت « ماجد » فوق كتفيها برفق وقال لها : لم يحن أوان الراحة بعد يا عزيزتي.. لا يزال أمامنا سفر عاجل.

تطلّعت نحوه بقلق وتساءلت : أتنوي مغادرة البلاد الآن؟

— نعم.

ـــ كيف.. انهم على الحدود لا يسمحون بمرور قطة صغيرة.. سوف يطلقون علينا الرصاص اذا ضبطونا.

ابتسم « ماجد » وهو يقول : سوف نغادر البلاد بطريقة لا تخطر على بال أحد.. انني دائماً أحب الطرق المبتكرة.

تساءلت بدهشة : كيف؟

ضغط « ماجد » على يديها وهو يقول : ليس هذا وقت الأسئلة.. أين توجد محطة الأرصاد الجوية في هذه المدينة.

ـــ إنها على مشارف المدينة.. لماذا؟

ـــ ارتدي كل ما يمكنك ارتداؤه من ملابس ثقيلة وهيا بنا فإن بقاءنا هنا خطر علينا.. فسوف يعثرون على طائرتنا في القريب وسيكتشفون نجاتنا ومن ثم سيقلبون هذه المدينة رأساً على عقب بحثاً عنا.

نهضت « ايفانا » بصمت وعانقت مربيتها العجوز، وارتدت سترتين صوفيتين تخصّان المرأة العجوز تحت معطفها الثقيل، وغطّى « ماجد » كتفيه بوشاح صوفي ثقيل وارتدى معطفاً ثقيلاً فوقه. وخلعت « ايفانا » من اصبعها خاتماً ثميناً بفص ماسيّ دسّته في يد المرأة العجوز لتعوّضها عما أخذاه من ملابس لا تملك غيرها، ولم تتمالك نفسها وهي تحتضنها لآخر مرة في حياتها فأجهشت في البكاء بشدّة.. وتلقّفهما الطريق مرة أخرى فسارا في صمت

نحو محطة الأرصاد الجوية.. وبعد ساعة كانا يدنوان من أسوارها.

لم يكن هناك أي نوع من الحراسة.. وتسلّل الاثنان عبر أسوار المحطة التي كانت تشغل منطقة متّسعة من الأرض أحيطت بسياج حديدي وتناثرت الأبنية القليلة بداخلها.

وكانت هناك أبراج ضخمة عالية وعدد من بالونات قياس سرعة الرياح واتّجاهها في طبقات الجو العليا وكانت بالونات متوسّطة لا يزيد قطر الواحدة منها عن مترين وقد رُبطت إلى قواعد حديدية مثبتة في الأرض بحبال قوية.

تلفّت « ماجد » حوله فوقع بصره على سلّة كبيرة من الخوص القوي المجدول تتّسع لشخصين فظهر السرور على وجهه، وبسرعة أحضرها وأتى بحبال قوية ثبّتها في السلّة ثم ربط طرفها الآخر في ست بالونات.

تمتمت « ايفانا » ذاهلة : ماذا تنوي أن تفعل؟

رد « ماجد » باسماً : كما ترين.. سوف نطير كما تفعل الطيور المهاجرة، ولست أشك بعدها أن الجنرال « بانشنكو » سيمنع عبور الطيور المهاجرة فوق البلاد إلا بتصريح شخصي منه!

هتفت « ايفانا » بفزع : أتريدني أن أركب هذا الشيء وأطير به فوق الحدود؟

ـــ ليس هناك من وسيلة أخرى.. والريح مواتية الآن فهي تهبّ في الاتّجاه الصحيح وسوف تدفعنا نحو خليج « فنلندا » بسرعة مناسبة.

تساءلت « ايفانا » بذعر: ألن يرصدوننا فوق راداراتهم؟

ـــ لحسن الحظ فان الذي صنع الرادار لم يضع خطة هروبنا في حسبانه فاكتفى بأن جعله يرصد الطائرات فقط.

وتقدّم نحو السلة فتبعته « ايفانا » بعد تردد قصير.. لقد تعلّمت أن تثق فيه.

إلتفت « ماجد » الى « ايفانا » باسماً وهو يقول: من المؤسف انهم لم يضعوا في هذه السلة أحزمة ليربطها الركاب عند الاقلاع، فأرجو أن تتشبّثي جيداً بمكانك فإن اقلاعنا سيبدو خشناً قليلاً.

تشبّثت « ايفانا » « بماجد » الذي بدا أمامها رجلاً لا يعرف المستحيل ولا يغزو الخوف أو التردد قلبه أبداً.. وقطع « ماجد » الحبال التي تربط البالونات الستة بقواعدها الحديدية بمدية أخرجها من جيبه، ومع آخر حبل انقطع اهتزّت السلّة بشدّة ثم اندفعت لأعلى والبالونات تحملها صاعدة إلى طبقات الجو العليا الباردة.

وأخذت الأرض تبعد وتبعد وهما يعلوان.. وأخيراً استقرّت البالونات على ارتفاع يزيد عن خمسة آلاف متر، وأخذت الرياح

تدفعها نحو الشمال الشرقي، وألقى « ماجد » نظرة إلى ساعته وحسب سرعة الرياح وقال : سنبلغ الحدود الفنلندية خلال ثلاث ساعات.. هذا إذا لم تغيّر الرياح اتجاهها وسرعتها وظل حُسن الحظ حليفنا.

اتّسعت عينا « ايفانا » بذعر لا حد له عندما طاف في ذهنها خاطر مفاجئ وهتفت في ماجد : ولكن كيف سنهبط إلى الأرض مرة أخرى؟

هز « ماجد » كتفيه وهو يقول : إن من اخترع هذه البالونات لم يهتم بكيفية هبوطها، فهي عادة بعد أن تؤدي مهمّتها تدفعها الرياح إلى القطب الشمالي.. حيث تُدفن هناك إلى الأبد!

هتفت « ايفانا » ذاهلة : القطب الشمالي؟ يا إلهي.. أي مصير ينتظرنا هناك؟

لم يرد « ماجد ».. واسترخى في السلة الكبيرة تاركاً للرياح والأقدار مهمة توجيه البالونات.

وانكمشت « ايفانا » وقد التفّت بمعطفيها الثقيلين وهي تعاني من البرد الشديد.

وأغمض « ماجد » عينيه كأنه قد غرق في النوم.. وبعد قليل غرقت « ايفانا » في النوم أيضاً برغم البرودة القارسة.

ومض الوقت وفتح « ماجد » عينيه وألقى نظرة لأسفل.. لم يعد

للخليج أي أثر بأسفل، وظهرت الأرض فتألّقت ملامحه بعلامات السرور وأيقظ « ايفانا » برفق وقال لها باسماً : لقد عبرنا الحدود بلا مشاكل.. نحن الآن فوق الأراضي الفنلندية.

هتفت « ايفانا » بفرحة طاغية، وفجأة اندفعت نحوهما طائرة شراعية على مسافة قريبة مكّنت « ماجد » من أن يشاهد علامات الذهول الطاغية التي ارتسمت فوق وجه الطيار الشاب الذي هزّ رأسه بشدّة كأنه لا يصدّق ما يراه.. ثم أسرع إلى جهاز لاسلكي صغير وراح يتحدّث فيه بصوت لاهث وهو يشير بيديه اشارات مذعورة عصبية نحو البالونات الست التي تحمل سلة « ماجد » و « ايفانا » فلوّح له « ماجد » باسماً ثم التفت قائلاً لرفيقته : يبدو أننا سنواجه ترحيباً رسمياً عند هبوطنا، ولست أشك أن نصف قوات البوليس والجيش الفنلندي سيكونون بانتظارنا عند الهبوط.. فالجميع هنا غير معتادين على استخدام البالونات في السفر وعبور الحدود، برغم أنها وسيلة رخيصة ولا تتطلّب حجزاً مسبقاً، كما أن أحداً لن يطلب منك الامتناع عن التدخين فيها!

تساءلت « ايفانا » بفزع : وماذا ستقول لهم.. لو علموا بالحقيقة فسوف يعيدوننا إلى..

قاطعها « ماجد » باسماً في ثقة : ومن سيخبرهم بالحقيقة.. إن الروس لن يعترفوا أبداً أننا خدعناهم وغادرنا البلاد بهذه

الصورة، كما لا أظن أن السلطات الفنلندية ستعيدنا إلى هناك ما دمنا لن نفتح أفواهنا بشيء.. إننا لن نعود أبداً إلى داخل الستار الحديدي.

تساءلت « ايفانا » بقلق : وبماذا سنبرّر للمسئولين هنا دخولنا البلاد بمثل هذه الطريقة؟

زم « ماجد » شفتيه كأنه يفكّر بعمق ثم قال : ما رأيك في أن نخبرهم أننا كنا في القاهرة، وأردت أن أريك الاهرامات من أعلى بهذه البالونات ولكن الرياح كانت قوية قليلاً فدفعتنا إلى هذه البلاد؟

انفجرت « ايفانا » ضاحكة وهي تقول : إنها فكرة رائعة.. ترى كيف سيبدو شكل الاهرامات على ذلك الارتفاع.. سوف تكون أول شيء أراه عند وصولي إلى مصر.

وظهرت على البعد عدة طائرات حربية فنلندية احاطت بالبالون فرفع « ماجد » يديه تحيّة، ثم التفت إلى « ايفانا » قائلاً : لقد حان أوان هبوطنا.

وأخرج من جيبه المدية الصغيرة وقطع حبال بالونين من البالونات الستة، فبدأت السلة ببالوناتها الباقية تهبط متأرجحة لأسفل ثم ثبتت فوق ارتفاع الفي متر وهي تندفع شمالاً.. وقطع « ماجد » حبال بالون ثالث.. ومع البالون الرابع راحت السلة الخوص تهبط لأسفل

ببطء كأنها باراشوت.. واستقرّت أخيراً براكبيها داخل سياج مزرعة صغيرة قد جلس أصحابها لتناول الأفطار في ذلك الوقت من الصباح.

وما إن شاهدأصحاب المزرعة ذلك الشيء الهابط العجيب داخل مزرعتهم حتى أسرعوا نحوه وأحاطوا « بماجد » و « ايفانا » وهم يتحدّثون باللغة الفنلندية بسرعة مدهشة وهم يتحسّسون « ماجد » و « ايفانا » كأنهم لا يصدّقون أنهما بشر مثلهم. وقالت « ايفانا » « لماجد » بحيرة : انني لا أفهم شيئاً مما يقولون.. ماذا سنقول لهم.. وماذا سنقول للمسئولين الذين سيهرعون إلى هنا بالمئات.

رد « ماجد » باسماً وهو يربت فوق كتفيها : سنؤجل التفكير في
ذلك لما بعد افطارنا.. فهذا أول ما يجب أن نفعله.. لقد كنت مشتاقاً دائماً لتذوّق الزبدة الفنلندية.. لا أظن أنني سأترك مثل هذه الفرصة دون اغتنامها.

واتّجه إلى مائدة الطعام فتبعته « ايفانا » وقد خفّ قلقها، وراح الاثنان يأكلا بشهية على حين حملق صاحب المزرعة وزوجته وأولاده في « ماجد » و « ايفانا » بذهول كأنهما يشاهدان جنّي مصباح علاء الدين!

ومن بعيد تعالت أصوات سيارات الشرطة صاخبة عالية، مما ينذر بوصول رتل منها لا يقل عن العشرات.. وتبعتها اصوات هادرة لدبابات ثقيلة!

واندفع رجال الشرطة بالمئات وعشرات المسئولين داخل المزرعة فلوّح لهم « ماجد » قائلاً : مرحباً أيها السادة.. لماذا لا تأتون وتشاركوننا افطارنا؟

وبرز وجه السيد « م » من وسط عشرات المسئولين باسماً واثقاً، وغمز له « ماجد » بعينيه والتفت إلى « ايفانا » قائلاً : لقد صار كل شيء على ما يرام.. لقد كانت عيون السيد « م » تتبعنا في كل مكان وحتى لحظة هبوطنا، وقد جاء في الوقت المناسب ليغنينا عن الردود على الأسئلة المحرجة.

تساءلت « ايفانا » بدهشة : ومن هو السيد « م »؟

رفع « ماجد » حاجبيه بدهشة قائلاً : ألم أخبرك من هو السيد « م ».. يا لي من مقصّر.. ربما أخبرك عنه يوماً ما بعد خمسين عاماً.. والآن ما رأيك في الزبدة الفنلندية، أليست لذيذة حقاً، انني أفكّر في شراء عدة ارطال لأهديها إلى جدّتي فقد وعدتها بهدية صغيرة عند عودتي، مع اطيب تمنياتي من بلاد الثلج والجليد.

ولكن، كانت هناك مفاجأة أخيرة « لماجد »، عندما شاهد الجنرال « بانشنكو » يتقدّم متأبطاً ذراع السيد « م » رئيسه، والاثنان يبتسمان في سرور واعجاب.

ورفع الجنرال قبّعته « لماجد » محيّياً وقال : كان طيراناً

موفّقاً وأظن أنهم سيدرّسون لطلبتنا تلك الوسيلة المبتكرة في الهروب من المآزق.. وربما يرغب رجالي في أن تتعاون معهم يوماً ما، فإن الرجال الأفذاذ قلائل في هذا العالم.

وهنا فقط أدرك « ماجد » أن خروجه سالماً من « روسيا » كان بتدخّل من الجنرال « بانشنكو » شخصياً، وان كل شيء كان يجري تحت سمعه وبصره، وان هناك صفقة قد تمّت بينه وبين السيد « م » لخروج « ماجد » حياً من البلاد، وربما لولا ذلك ما ذاق « ماجد » الزبدة الفنلندية أبداً!!

هذه العملية :

الهروب المثير

ككل مرة ينجو « ماجد » من الموت بطريقة مبتكرة.. ولكنه لا يزال مطارداً من أقوى ثلاث أجهزة مخابرات في العالم..

وأخيراً يعثر « ماجد » على الميكروفيلم.. ولكن يضاف اليه راقصة البولشوي الشهيرة « ايفانا بافلوفا ».. والتي تشترط على « ماجد » أن يقوم باخراجها من البلاد لتعطيه الميكروفيلم.. في الوقت الذي تتحوّل فيه حدود البلاد إلى طوق حديدي يستحيل الخروج منه..

ولكن « ماجد » يحطّم المستحيل ويغادر البلاد.. بطريقة لم تخطر على بال اعدائه.. ولم يفكّر فيها انسان من قبل.

BLUE BIRD

Scan By : M.Raafat & Rabab
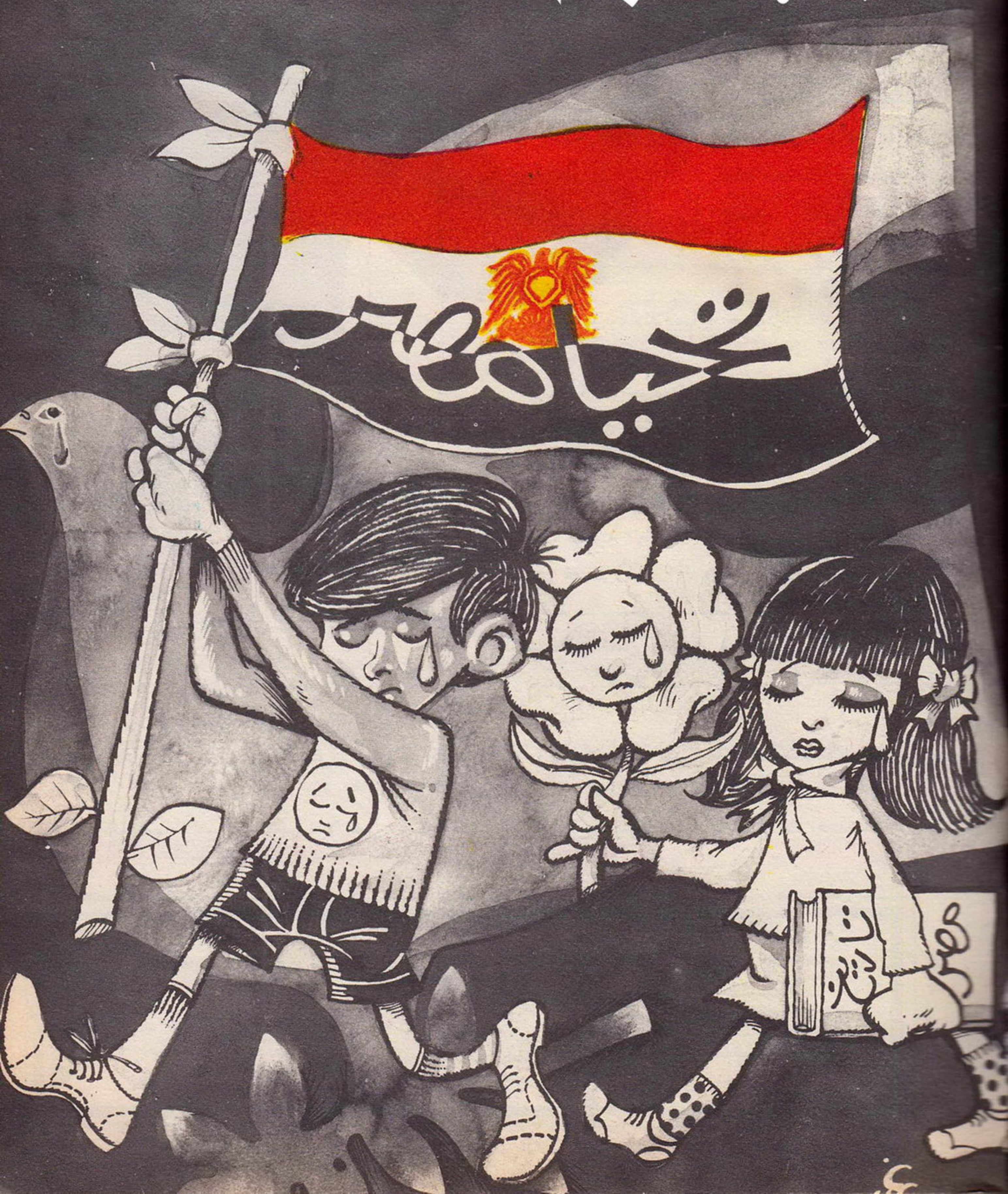
Arab Comics.net
و بلـو بيرد
عرب كوميكس
M.Raafat
تحيا مصر

٤

سلسلة رجل المهام الصعبة

الهروب المثير
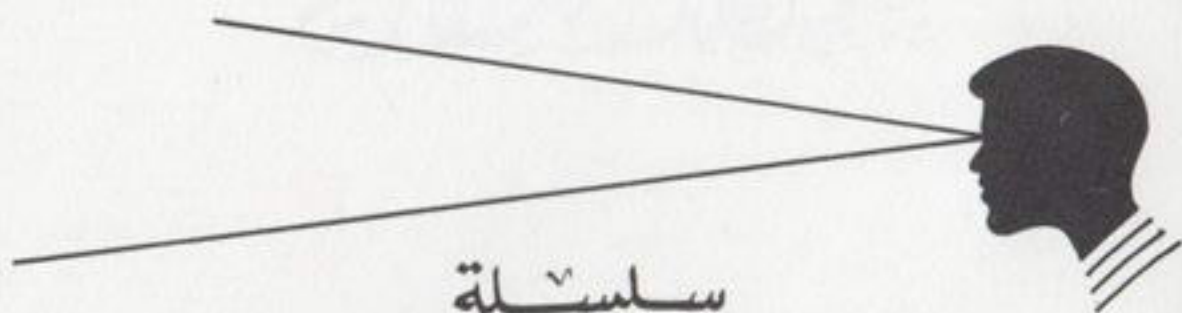
الهروب المثير

سلسلة

رجل المهام الصعبة

المغامرة الرابعة

الهروب المثير

تأليف : مجدي صابر

دار الجيل

بيروت

رجل العمليات الخاصة :

انها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم «ماجد شريف».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

واذا كان «جيمس بوند» هو اسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن «ماجد شريف» هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير «ماجد شريف»..

ولم يحدث أن خيّب «ماجد» أمل رؤسائه فيه أبداً..

بسم الله الرحمن الرحيم

« في الأسر »

احاط رجال المخابرات الروسية «K.G.B» « بماجد » من كل جانب وقد صوّبوا مسدّساتهم نحوه وظهرت في عيونهم نظرة قاسية أشدّ برودة وصلابة من الجليد السميك تحت أقدامهم. وعلى مسافة قدم واحدة ارتمى « ماكس » المزيّف ضابط المخابرات الروسي مصاباً بطلق ناري، عندما اطلق زملاؤه الرصاص على « ماجد » ليحاولوا منعه من الفرار، فأصابت رصاصتهم زميلهم الذي حاول خداع « ماجد » على أنه « ماكس » والذي سافر « ماجد » من القاهرة إلى « موسكو » ليحصل منه على ميكروفيلم هام جداً، يصوّر موانئ الأعداء البحرية وخطوط ملاحة غواصاته وملاجئه البحرية السرية، وغيرها مما يتعلّق بقوّته البحرية[1].

وكان من ضمن شروط « ماكس » ألا يسلّم « ماجد » الميكروفيلم قبل أن يقوم « ماجد » بتهريبه من « موسكو »، والتي

---

(١) اقرأ بداية هذه المغامرة في قصة : « المهمة المستحيلة ».

كانت تطارده فيها ثلاثة أجهزة مخابرات.. الأمريكية والروسية ومخابرات الأعداء التي سرق منها « ماكس » الميكروفيلم وحاول بيعه إلى السفارة المصرية في « موسكو »، وهناك صار أشبه بفأر في المصيدة بعد أن سُرق منه جواز سفره، فلم يستطع مغادرة « موسكو » ولذلك سافر « ماجد » إلى هناك لمساعدته في الخروج من روسيا.

وقامت المخابرات الروسية بخدعة ماكرة، فقد بدّلت « ماكس » الحقيقي بآخر مزيّف لخداع « ماجد »، وتظاهر رجال المخابرات الروسية بمطاردتهما في أكثر من مكان، واكتشف « ماجد » خلال تلك الفترة حقيقة ضابط المخابرات الروسي المزيّف فأخفاها.. وفي القطار المتّجه من « موسكو » إلى « لينينجراد » حاول « ماكس » المزيّف القبض على « ماجد »، ولكن « ماجد » قفز معه خارج القطار المليء بالضباط الروس.. واصيب الضابط الروسي برصاصة من زملائه، وكان آخر ما نطق به اسم راقصة الباليه الروسية الأولى « ايفانا بافلوفتش » عندما سأله « ماجد » عن مكان ومصير « ماكس » الحقيقي الذي قبضت عليه السلطات الروسية.

تبادل بعض الضباط الواقفين الحديث بلهجة غاضبة باللغة الروسية التي كان « ماجد » يجهلها، ووضح في نبرة أصواتهم أن غضبهم كان بسبب موت زميلهم، والذي لا بد وأنه ضابط برتبة كبيرة وإلا ما طرفت عيون زملائه لموته خوفاً من المسؤولية والمساءلة..

فإن وفاة ضابط مخابرات في احدى العمليات هو أمر لا يثير مثل هذا اللغط والغضب، إلا إذا كان ضابطاً برتبة كبيرة.

تقدّم أحد الضباط من « ماجد » وتفرّس فيه بعيون ضيّقة متجهّمة، وتذكّره « ماجد » على الفور، فقد كان نفس الضابط الذي أوقفه و « ماكس » المزيّف أمام الأوبرا وحاول تفتيشهما.. الضابط ذو العينين الزرقاوين كموج البحر!

لوح الضابط « لماجد » لينهض فأطاعه في صمت.. وتقدّم الضابط منه وأجرى تفتيشاً له واستولى على مسدّس « ماجد » ووضعه في جيب معطفه.

وأخرج الضابط من جيبه الآخر قيوداً حديدية وضعها حول يدي « ماجد » وأغلقها، واستسلم له « ماجد » بهدوء فقد كان يعلم تمام العلم أن أي محاولة للمقاومة سيكون نتيجتها طلقات ما يزيد عن ثلاثين مسدّساً مصوّبة إليه، وأنه ليس أحب للواقفين حوله من قتله وتحويل جسده إلى مصفاة من ثقوب الرصاص انتقاماً لزميلهم القتيل.

وحلّقت طائرة هليكوبتر كبيرة فوق المكان، ثم هبطت على مسافة من ضباط المخابرات وأسيرهم، فهتف الضابط في « ماجد » بخشونة بالانجليزية : هيا أيها الثعلب.. اصعد إلى الطائرة..

تقدّم « ماجد » من الطائرة وصعد داخلها وخلفه عشرة من رجال

المخابرات على الأقل، وساد الصمت جوف الطائرة العمودية وقد عاودت التحليق وانطلقت إلى جهة مجهولة، وأخفى رجال «K.G.B» مسدّساتهم في ستراتهم وإن ظلت اصابعهم قابضة على زنادها في جيوبهم، وعيونهم القاسية مصوبة إلى « ماجد » بنظرات حادة قاسية لا تطرف لها رموشهم.

وجّهت الطائرة وجهتها نحو « موسكو » عائدة، وعرف « ماجد » أنه سيساق إلى أحد أماكن المخابرات الروسية حيث سيجرى استجوابه.. أما مصيره فكان معروفاً ومؤكّداً ولا يزيد عن احتمالين، إما النفي إلى « سيبريا » ليقضي بقية عمره وسط الجليد يشق الأنفاق لأنابيب الغاز والبترول.. وإما القتل والتصفية بعد محاكمة سريعة من المؤكد ادانته فيها.

فلم تكن المخابرات الروسية لتأخذها شفقة أو رحمة بعميل أجنبي قُبض عليه يمارس نشاطاً معادياً فوق أرضها، خاصة إذا تسبّب هذا العميل في قتل أحد ضباطهم، وهناك مثل روسي شهير بأنه عندما يقع أحد الجواسيس الأجانب في قبضة المخابرات الروسية، فمن المؤكد أن عيناً أخرى لن تقع عليه بعد تلك اللحظة!

كان « ماجد » يدرك كل هذه الحقائق، ولكن ذرة في قلبه لم يساورها الخوف أو القلق، فهو لا يخشى الخطر أياً كان مصدره.. سواء كان خلف الستار الحديدي أم في أي مكان آخر في العالم، وعندما يمتهن أحد الرجال هذا العمل، فهو يدرك أنه يحمل روحه

بين يديه ويقامر بها في أي مكان يذهب إليه لأداء مهمة ما.

ولم يكن « ماجد » ممن يدركهم الخوف أو القلق حتى في أسوأ الظروف..

وسرعان ما استعاد « ماجد » روحه المرحة الساخرة، والتفت باسماً إلى ضابط المخابرات ذي العينين الزرقاوين قائلاً : يبدو أن هناك حفلة معدة لاستقبالي.

وجاوبه الضابط بلطمة قاسية من كعب مسدّسه فوق جبهة « ماجد »، فسال خيط رفيع من الدماء فوق حافة جبهته. ومسح « ماجد » الدم بيديه المقيّدتين وأكمل بنفس الابتسامة : حسناً.. لقد تم قص شريط الافتتاح الأحمر!

ضاقت عينا الضابط أكثر وقال بلهجة باردة : سوف تعض اطرافك ندماً وقهراً على اليوم الذي فكّرت به في دخول هذه البلاد.

وبنفس الروح الساخرة أجابه ماجد : إنك تسيء الظن بي أيها الرفيق، فإن متعة رؤيتي لك وحديثي معك تجعلني أتغاضى عن أي تفاهة أخرى!

حدّق الضابط في « ماجد » بصمت وقسوة وبشيء من الدهشة، كان قد قرأ الملف الخاص « بماجد » والذي يقول إنه أخطر رجل مخابرات في مصر والشرق الأوسط، وإنه أحد رجال المخابرات القلائل الأفذاذ في العالم.. ولكنه لم يكن يعرف كيف يمكن لرجل

ولو كان من أفضل رجال المخابرات في العالم أن يواجه موقفاً يائساً بمثل تلك السخرية واللامبالاة.

قال « ماجد » وهو يواصل سخريته : دعك من هذا التجهم أيها الصديق.. إن صاحب الوجه الباسم له الجنة!

رد الضابط بفم مزموم : سوف نجعلك تنسى ابتسامتك للأبد أيها الرفيق.. ومن ثم سيكون مصيرك جهنم بكل تأكيد!

رد « ماجد » بسخرية أشد : سيكون هذا أمراً مؤسفاً حقاً.. لأنني سأضطر إلى تحمّل صحبتكم هناك بكل تأكيد!

عضّ الضابط على نواجذه غيظاً وقهراً.. وتمنّى لو كانت الأوامر الصادرة له قد اطلقت له حرية معاملة ذلك الرجل الساخر أمامه، لكان قد أذاقه من صنوف العذاب ما لم يتخيّله قط.. ولكن الأوامر كانت محدّدة في القبض عليه حياً.. ولا شك أن هناك مصيراً أسوأ ينتظره بكل تأكيد.

انحرف الضابط بعينيه عن « ماجد »، وتشاغل بالتطلّع من نافذة الطائرة العمودية.. وحلّقت الطائرة فوق أحد المباني العتيقة التي كساها الثلج وأحاطها من الخارج صفان من الأسوار الحديدية العالية، وصف آخر من الأشجار الضخمة التي تمثّل أفضل ساتر وحماية للمكان.. ولم يكن هناك أثر للسائرين بالقرب من المبنى مما يقطع بأن المرور في ذلك المكان كان ممنوعاً لأهميته. وكان هناك

عشرات من أصحاب المعاطف الثقيلة والياقات العالية حول المبنى قد دسوا أيديهم في جيوبهم المنتفخة.. وتأكد « ماجد » أن ذلك المبنى لا شك يتبع المخابرات الروسية في « موسكو » عندما ألقى إليه نظرة سريعة من نافذة الطائرة. وشرعت الطائرة في الهبوط حتى حطت فوق سطح المبنى وتوقفت مراوحها عن الدوران وسكنت عن الحركة.

أشار الضابط « لماجد » بمسدّسه ليغادر الطائرة فغادرها يحيط به الرجال العشرة المسلّحون، برغم قيوده التي كانت تشلّه وتمنعه من أي مقاومة، وكان يستحيل عليه الخلاص منها.

واستقبلتهم مجموعة أخرى من الرجال ذوي الوجوه الباردة المتجهّمة والياقات العالية..

وتسلّمت المجموعة الثانية « ماجد » وسارت به إلى سلم ضيق يهبط إلى قلب المبنى ذي الحوائط الحجرية الباردة، والذي كان منظره يقطع بأن عمره لا يقل عن مائة عام.

وانتهى بهم السير إلى حجرة واسعة خفيفة الاضاءة.. وأشار أحد الضباط « لماجد » أن يجلس فوق أحد المقاعد فأطاعه في صمت، وفك الضابط قيد « ماجد »، فقال وهو يدعك معصميه مكان القيود : هذا تقدّم جيّد.

رد الضابط ساخراً : انك لن تتمكّن من الطيران على أي حال..

وأعدك بأنه عندما تخرج من هنا لن يكون بك عضو واحد سليم.

رد ماجد : هذا أمر مؤسف حقاً.. فكيف سيمكنني عندئذ أن أوقع على دفتر الزيارة هنا وأسجّل شكري على حسن ضيافتكم؟

أجابه الضابط ساخراً : سيكون من دواعي سرور الحانوتي الذي سيتولّى دفنك أن يسجّل توقيعك عوضاً عنك!

واتجه الضابط خارجاً وقد عاد وجهه ليتقلّص أشدّ مما كان فتبعه بقية رجاله وتركوا « ماجد » وحده في الحجرة المتّسعة.

ولم يكن « ماجد » ليشك بأن هناك أكثر من كاميرا تليفزيونية تقوم بتصويره ويعكف عشرات الرجال على مراقبته وتسجيل كل حركاته.. أما أي محاولة للهرب فلن تقابل إلا بطلقة رصاص لن تخطئ هدفها، أو دفعة غاز سام تقضي عليه في الحال!

وكان من الجنون على الانسان أن يفكّر في الهرب من ذلك المكان، الذي يبدو كما لو كان قلعة تحيطها عشرات الأسوار ويكمن الموت داخل كل شبر فيها.. وقدّر « ماجد » أن أفضل ما يفعله هو الانتظار، ولا شيء آخر.

فجأة انطفأ النور القليل في الحجرة وسادت العتمة.. وبعدها بثانية ظهر ضوء ساطع باهر قويّ سُلّط نحو وجه « ماجد » من السقف، فحمى « ماجد » عينيه بيديه من الضوء القوي.. وبعد

لحظات أزاح يديه وبدأ يعتاد الضوء الباهر المسلّط نحوه.

كانت تلك احدى وسائل المخابرات في اجهاد أي شخص ينوون استجوابه، وكان من السهل على « ماجد » أن يغادر مقعده ويتخلّص من ذلك الضوء المزعج و ...

وقبل أن يتحرّك قيد أنملة احاطه بمعصميه قيدان حديديان ظهرا فجأة من مسند المقعد الذي كان يجلس فوقه ليمنعاه من الحركة.

وكان على « ماجد » الانتظار والصبر.. إنه على الأقل لم يفاجأ.. وكان أكثر ما يضايقه في تلك اللحظة، ليس كونه مقيّداً أو معرّضاً لضوء مزعج باهر أو مصير مجهول، بل فشل ما جاء لأجله، فقد تمكّنت المخابرات الروسية من خداع الجميع والقبض على « ماكس »، وربما الحصول على الميكروفيلم منه، وكان هذا أسوأ ما في الأمر كله..

وفجأة تعالى ضجيج قوي.. أصوات متنافرة عالية صاخبة تصب كلّها في أذنيه كأنّما سُلّطت عليها عشرات الميكروفونات.. أصوات كأنها خليط من الصرخات الجنونية وصرير عجلات القطار واندفاع الطائرات الأسرع من الصوت، كأنها تطير خلف أذنيه بدويّ هائل رهيب.

أدرك « ماجد » أنهم يريدون تحطيمه وشل مقاومته وانهاك قواه

قبل استجوابه.. وكان عليه أن يتماسك ويبدو قوياً برغم كل الظروف.

وأغمض عينيه.. كان الضوء الباهر يقتحمهما كأنه يراه بعيون مفتوحة، وكانت الأصوات الهادرة تدوي في أذنيه كألف قنبلة وتكاد تصيبه بالصمم.

وكان عليه أن يستخدم أنجح الوسائل في التحرر من تلك المحسوسات المادية حتى لا تؤثّر على حواسه وادراكه وتصيبه بالانهيار.

وببطء حاول أن يصفو بذهنه، أن يسمو به إلى عالم آخر.. وبهدوء شرع عقله في التحرّر وبدأت حواسه تعود إلى صفائها، وتدريجياً لم يعد الضوء القوي يؤذي عينيه كأنما لا وجود له، ولم تعد الأصوات الهادرة المتفجّرة تصل إلى مسامعه.. كأنها مُحيت من حوله.

استرخى «ماجد» فوق مقعده وهو يمارس «اليوجا».. إنها الشيء الوحيد القادر على انتزاعه من كل تلك المعاناة والمحسوسات المؤلمة حوله.

وكانت هناك أسئلة معلّقة لا تزال تشغله، أين ذهب الروس «بماكس» الحقيقي، وهل استولوا منه على الميكروفيلم، وهل لا يزال حياً أم أنهم تخلّصوا منه بطريقة ما.. وما هي علاقة راقصة

الباليه « ايفانا بافلوفتش » بالأمر، ولماذا نطق ضابط المخابرات الروسي باسمها قبل وفاته، وهل تعلم الـ «RGB» بتورّطها في الأمر بصورة ما؟

وما لبثت الأسئلة كلها أن تلاشت من ذهنه الذي غاب في عالم آخر وشمل روحه هدوء وصفاء عجيبين.. كأنه يسبح في بركة مياه تحيطه الورود والأزهار فوق ربوة عالية.. أو كأنه يحلّق بجناحيه فوق العالم كله في استرخاء ودغدغة لذيذين.

ومر الوقت.. وانفتح باب الحجرة فجأة بصوت مسموع، ففتح « ماجد » عينيه وقد استعاد وعيه في نفس اللحظة.

وفي مدخل الباب ظهر الجنرال « بانشنكو ».. الرجل الدموي الرهيب في جهاز المخابرات الروسي!

وكان « ماجد » يعرفه حق المعرفة فقد اطّلع على صورته قبل مغادرة القاهرة، وكان يعرف أن ذلك الرجل من أكثر رجال المخابرات في العالم قسوة وبراعة، وأنه لا يؤمن بشيء في حياته اسمه الفشل، وأن أقل هفوة من رجاله يكون مصيرها الموت المؤكّد، حتى أن كافة أجهزة المخابرات في العالم تطلق عليه « الجنرال الدموي » وتخشاه وتحسب له الف حساب.

ولم يكن « ماجد » يظن أنه يمكن أن يحظى باهتمام رجل مثل « بانشنكو »، وعندما رآه في مدخل الحجرة أدرك متأخّراً أن تلك العملية التي أقحم نفسه فيها في تلك البلاد تعني أشياء هامة جداً للروس، أكثر مما قدر لها، وأن مصيره لم يعد يحتمل أي شك!

* * *

« الجنرال الدموي »

اختفى الضوء الباهر القوي وحلّ محله اضاءة عادية.. واختفى ضجيج الأصوات القاتلة لحظة ظهور الجنرال « بانشنكو » في مدخل الحجرة.

تقدم الجنرال من « ماجد » وهو يتفرّس فيه في بطء وتمعّن، شأن نمر مفترس يوشك أن يلتهم فريسته حالاً بعد أن أيقن من وقوعها بين مخالبه واستحالة نجاتها!

كان الجنرال ضخم الجثة له جسد قوي ووجه عريض مستدير، وصلعة تامة الاستدارة انكشفت عندما خلع القلنسوة المصنوعة من فراء الثعالب ووضعها فوق المكتب.. وكان أبرز ما فيه عيناه الواسعتان العميقتان كأنهما دوّامة رهيبة لا قرار لها، لا يجرؤ انسان على الدنوّ منها أو الغوص في أعماقها.

وظهرت دهشة خفيفة في عيني الجنرال الواسعتين عندما استقبله « ماجد » قائلاً :

من المؤسف يا سيدي انني لا أستطيع النهوض والترحيب بك.. فالمرء لا يقابل الجنرال « بانشنكو » كل يوم فهذا شرف عظيم.

اختفت الدهشة القليلة من وجه الرجل الدموي الذي توقّع أن يجد « ماجد » منهاراً مشتّت الأحاسيس، وبسرعة تمالك نفسه وقال بصوت عميق أجوف :

لا تدهشني روحك المرحة.. وربما كان هذا هو السبب في رغبتي لإلقاء نظرة عليك.

ـــ انني سعيد الحظ أيها الجنرال لأحظى بهذا الشرف.. سوف أذكر ذلك بسرور دائماً في مستقبل أيامي.

ـــ لن تتمتّع كثيراً بمستقبل أيامك.. فمن يرونني لا يعيشون طويلاً لينعموا بهذه المتعة!

وضغط الجنرال فوق ذر صغير في ظهر مقعد « ماجد » فتحررت يداه من قيودهما، وجذب الجنرال مقعداً وجلس أمام « ماجد »، وأشعل سيجاراً كوبياً فاخراً أخذ منه نفساً عميقاً وقال وهو يتطلّع إلى الحائط ببصره : انني مندهش.. كيف اكتشفت حقيقة الكولونيل « سيرجي »؟

ـــ اذن فقد كان « ماكس » المزيّف كولونيلاً.. إن هذا يدل على شدّة اهتمامكم باستقبالي.. وان دهشتي لتزداد عندما

أعلم أن كولونيلاً بجهازكم يمكن أن يخطئ مثل تلك الأخطاء التافهة.. إن هذا ليدلّ على أن جهازكم بحاجة إلى اعادة تقييم.

اكتسح الغضب وجه الجنرال، فلم يكن سهلاً على الرجل الخطير بجهاز عظيم القوة كالمخابرات الروسية أن يسمع نقداً بمثل تلك الصورة، وسرعان ما تلاشى الغضب لتحلّ محلّه قسوة طاغية، وقال الجنرال ببطء:

حسناً.. لقد لقي الرفيق « سيرجي » جزاءه ولن نذكر في ملفه إلا كل ما هو جيّد.

ماجد: ما يدهشني يا سيدي هو اهتمام رجل كثير المشاغل مثلك بأمر تافه كالذي جئت لأجله.

— لن تندهش إذا علمت أن هذا الميكروفيلم شديد الأهمية بالنسبة لنا.. وربما تزيد أهميته آلاف المرات عن حاجتكم إليه.

— لست أفهم يا سيدي.. ما علاقتكم أنتم بالأمر كله.. هل لأن الأحداث تجري فوق أرضكم؟

— هذا هو أول الأسباب.. وهذه هي المرة الأولى التي تجري فيها مثل تلك اللعبة فوق أرضنا.. أنت ولا شك تعلم يا سيد « ماجد » أننا دائماً نلعب على غير أرضنا.. ولم يحدث

أن جرؤ أحد على الدنوّ من أسوارنا، ولكن هذه المرة تغيّرت قواعد اللعبة مما استتبع تدخّلنا بكل ثقلنا.. اننا لا نسمح بأن يجري شيء من وراء ظهرنا وهذا هو شعارنا دائماً.. ونحن لسنا على استعداد للتخلّي عن قوتنا وصدارتنا في هذا العالم، ولذلك ترانا نتصرّف بحسم وقوة في هذه المسألة، أما السبب الآخر فهو أن هذا الميكروفيلم الصغير يمثّل أهمية طاغية بالنسبة لنا.. إن صراعنا مع الأمريكيين معروف للجميع وخاصة حرب المخابرات الخفية.. وقد جاء هذا الميكروفيلم إلينا طائعاً في الوقت المناسب.. فقد كنا بحاجة إلى ورقة رابحة في مفاوضاتنا القادمة مع الأمريكان حتى يتخلّوا عن أحلامهم الرامية بجعل الفضاء مستعمرة لهم في خطة « حرب النجوم » التي يزمعون اقامتها في الفضاء.

تساءل « ماجد » بحيرة حقيقية : لست أفهم أيها الجنرال العلاقة بين حرب النجوم وذلك الميكروفيلم.

رد الجنرال وهو ينفث دخان سيجاره الضخم : أنت تعلم أن اعداءكم متحالفون مع الأمير كيين وهذا التحالف يشمل كل الفروع العسكرية.. ومن جهتنا فنحن نعلم تماماً أن كافة غواصات أعدائكم وملاجئهم البحرية تمت بمساعدة الأمريكان وبواسطة تكنولوجيتهم وخبرائهم ومعدّاتهم.. وأن

كل ما يخطط له اعداؤكم إنما يتم بتعاون وتنسيق مع القوة العسكرية الأمريكية.. وبذلك فإن كشف هذه الخطط والقوة البحرية لأعدائكم انما يعني بالمقابل كشف الخطط البحرية الأمريكية.. لأن الاستراتيجية واحدة في الحالتين.

ظهرت الدهشة على وجه « ماجد » وقال: اذن فهذا هو سر اهتمامكم بالمسألة كلها.. لقد أردتم الحصول على الميكروفيلم حتى تكشفوا اسرار القوة العسكرية البحرية للأمريكيين وما حدث فيها من تطوّر وتقدّم.

— بالضبط.. وهذا سيدفعهم إلى تغيير ملاجئهم البحرية وخطوط ابحار غواصاتهم السرية في المحيطات وأعالي البحار.. وعمل مثل هذا ولا بد وأن يكلّفهم الكثير.. الكثير جداً.

أكمل ماجد: وبذلك فانهم سيتخلّون حتماً عن برنامج « حرب الكواكب » ويؤجّلونه إلى ما بعد تغيير خرائطهم البحرية لأنهم لا يستطيعون أن يقوموا بالعملين في وقت واحد.

— تماماً.. انه نفس الهدف الذي تسعون انتم لتحقيقه حتى لا تنضمّ الطائرات الشبح إلى قوة أعدائكم.

ماجد: تدهشني معرفتكم بهذا الأمر يا سيدي.. ولا أظن أن أكثر من شخصين أو ثلاثة في جهاز مخابراتنا يعلم بذلك الأمر.. وانني لأتعجب كيف تسرّب الخبر إليكم؟

ظهرت ابتسامة فوق الوجه الدائري القاسي لأول مرة وقال :
ليست كل معلوماتنا نحصل عليها من مصدر مباشر.. اننا أيضاً نحلّل ونستنتج ونتحرّك على هذا الأساس فإن جهازنا عالي القدرة.

ومضت فترة صمت.. كان « ماجد » يجهل غرض الجنرال الروسي من مواجهته وكشف هدفه له، وضاقت عيناه في ريبة وهو يتساءل :

لا أظن أنك جئت هنا أيها الجنرال لتخبرني عن أهمية الميكروفيلم بالنسبة لكم.

— لا طبعاً.. ان هناك أسباباً عديدة دفعتني لزيارتك، من ضمنها الرغبة في التعرّف على ذلك الثعلب المصري الذي هزم جهاز المخابرات الأمريكي في أكثر من مواجهة سابقة، وكذلك مخابرات أعدائكم.. اننا نقدّر البطولة وخاصة للذين يحاربون أعداءنا.. يمكننا أن نعتبرهم اصدقاءنا.

تجاهل « ماجد » ما يُلمّح إليه الجنرال وقال متساءلاً : وبقية الأسباب؟

— لقد مات ذلك الرجل المدعو « ماكس »!

نطق الجنرال الروسي بالكلمات وتراجع فوق مقعده وهو يحدّق في وجه « ماجد » ليرى تأثير كلماته عليه.

تساءل « ماجد » بشك : أهي خدعة أخرى أيها الجنرال؟

ـــ وما حاجتنا إلى مزيد من الخدع وأنت في قبضتنا.. بوسعي اطلاعك على جثة الرجل.. ولكنك لن تستطيع التأكد أبداً لأنك لم تر وجهه من قبل.. لقد ابتلع الرجل حبة « سيانيد » كانت مخفاة في ملابسه عندما حاولنا استجوابه عن مكان الميكروفيلم.

ـــ والميكروفيلم أين هو؟

ـــ لقد ذهب السر مع الرجل.. وفشلنا في معرفة مكان الميكروفيلم منه عند استجوابه.

قطب « ماجد » جبهته وهو يقول : لست أشك في طبيعة استجوابكم له.. ولا بد أن الرجل فضّل الموت على التعرّض إلى هذا الاستجواب!

ـــ لسنا نعرف سوى وسيلة واحدة للاستجواب.. ونحن نستخدمها في كل مرة.. وإذا كان هذا الغبي قد انتحر واطبق فمه على السر للأبد، فإن هذا لا يعني أن الميكروفيلم قد ضاع.. وإلا ما كنت أنت لا تزال حياً حتى الآن!

ارتسمت ابتسامة ساخرة فوق شفتي « ماجد » وقال : إذاً فأنتم تطمعون أن أقودكم إلى مكان الميكروفيلم.. يا للسخرية.. وكيف سأقودكم إلى مكانه وقد تسببّتم في موت الرجل

الوحيد في هذا العالم الذي كان يستطيع أن يدلّني على مكانه؟

— ربما كان في أقوال وتعليمات رئيسك ما يقودك إلى مكان الميكروفيلم.. حتى بدون مساعدة من « ماكس ».

هم « ماجد » بالرد فقاطعه الجنرال بإشارة من يده وقال بلهجة باردة : اننا على استعداد لأن نمنحك حياتك مقابل معرفة مكان الميكروفيلم.. سوف نؤمّن لك مغادرة البلاد في هدوء إذا ما أرشدتنا إلى مكانه.. إن عميلاً أجنبياً لم يحظ بهذا الكرم منا من قبل.

ماجد: يا له من كرم.. أتظن أنني لو كنت أعرف مكان الميكروفيلم كنت سأضيع الوقت مع ذلك الكولونيل الغبي الذي تظاهر بأنه « ماكس »؟

ضاقت عينا الجنرال وزم شفتيه وهو يقول : بل ان هذا هو ما يؤكد لنا أنك تعرف مكان الميكروفيلم.. والا فما الذي دفعك الى التظاهر بأنك خُدعت في شخصية ضابط مخابراتنا.. إن هذا ليس له سوى تفسير وحيد، وهو أنك كنت تعرف مكان الميكروفيلم ولذلك جاريت الكولونيل « سيرجي » في خدعته حتي تتمكّن من مغادرة البلاد بواسطته، وهو السبب الذي دفعك قطعاً إلى ركوب القطار المتّجه إلى « لينتجراد » لتغادر « روسيا » بالميكروفيلم.

وساد الصمت لحظات بعد كلمات الجنرال الروسي.. وعمل ذهن « ماجد » بسرعة البرق.. لقد فسّر الروس تصرّفه تفسيراً آخر.. فهو قد تظاهر بانطلاء خدعة الضابط الروسي عليه حتى يتمكّن بواسطته من معرفة مكان « ماكس ».. وتظن السلطات الروسية أنه فعل ذلك لأنه يعرف مكان الميكروفيلم وأنه واثق من الحصول عليه في النهاية، ولعلهم يظنونه معه بالفعل. لقد أرسل إليه القدر ورقة رابحة ليلعب عليها.. وربما تكون فيها نجاته.. إن مكان الفيلم لا يزال مجهولاً لم يعثر عليه أحد حتى الآن.. وربما يتمكن هو من الحصول عليه.. فقط إذا تمكّن من مغادرة ذلك المكان حياً!

بدد هدوء الحجرة صوت الجنرال وهو يقول : لا أحب الذين يفكرون كثيراً قبل أن يجيبوا على اسئلتي.

ماجد: ليس لديّ الاجابة التي تريدها أيها الجنرال.. إن لم تحصل بلادي على هذا الميكروفيلم فلن يحصل عليه أحد آخر.

رمق الجنرال « ماجد » بنظرة قاسية وقال : يبدو أنك تجهل وسائلنا في انتزاع ما نريد من معلومات.

— لست أجهلها يا سيدي.. ومن المؤكد أنني أفضّل أن أفعل نفس ما فعله « ماكس ».

جزّ الجنرال على أسنانه بصوت له صرير وقال بغضب مكبوت : ومن قال لك إننا سنسمح لك بالموت.. إنه راحة لن تنالها

أبداً.. سوف نُذيقك من العذاب ما يجعلك تصرخ توسّلاً ورحمة.. إن الموت ينتظرك في النهاية.. ولكن بعد أن نذيقك الويل.. وبعد أن ننتزع منك مكان الميكروفيلم.. إن لنا طرقنا الرائعة في ذلك وهي لا تفشل أبداً في انتزاع ما نريد في النهاية.

ونهض وهو يحدّق في وجه « ماجد »، وتقلّصت اصابعه في غضب هادر وهو يقول : سوف تعرف لماذا اطلقوا عليّ تسمية « الجنرال الدموي ».. وأرجو أن يعجبك برنامجي الخاص الذي وضعته للمشاغبين من أمثالك لاقناعهم بالتعاون معي.

وعلى الفور اندفع إلى الحجرة اربعة عمالقة اشداء انقضّوا على « ماجد » وحملوه حملاً خارج الحجرة، وعمل عقل « ماجد » بسرعة، لقد نجحت خطته ودفع الجنرال إلى التأكد من أنه يعرف مكان الميكروفيلم، وكان هذا يمنحه بضعة أيام حياً على أمل أن يستطيع مغادرة ذلك المكان بأي وسيلة.. برغم أنه كان يعلم تمام العلم أنه سيلاقي خلال تلك الأيام من العذاب ما لا مثيل له في جهنم نفسها خلال ذلك الشيء الذي اطلق عليه الجنرال اسم « البرنامج »!

° ° ° °

« البرنامج »

وكان البرنامج حافلاً..

وتأهّب الجميع لبدئه في التو.. فقد حمل العمالقة الأربعة « ماجد » إلى زنزانة صغيرة اسفل المبنى كان يؤدي إليها سرداب عطن أكلته الرطوبة.. وكانت جدران الزنزانة حجرية صماء لها باب من الصلب يفتح اليكترونياً من الخارج ويستحيل فتحه من الداخل.

وقيّد العمالقة الأربعة ذراعي وقدميّ « ماجد » في أربعة قيود في الحائط مثبتة الى حجر دوار ضخم، بعد أن خلعوا ملابسه إلى ما يستره، وعندما حاول المقاومة انقضّ أحد العمالقة عليه و كانت له عضلات هائلة فشلّ حركة « ماجد ».. وانقضّ آخر بلكمة ساحقة إلى بطن « ماجد » فأحسّ كأنما أصابت معدته طلقة مدفع.. وترنّح « ماجد » من شدّة الضربة فعاجله العملاق الثالث بلكمة مباشرة في وجهه ارتجّت لها رأس « ماجد »، وأحسّ كأن انفه قد تحطّم.. وهكذا لم تكن له أي مقاومة وهم يقيّدونه إلى الحائط في حجر دائري ضخم يبرز من الحائط ويدور حول محوره في بطء.

واندفع العمالقة الأربعة يصوّبون لكماتهم إلى بطن « ماجد » وصدره ووجهه، كأنما هم ملاكمون في حلقة تدريب، و « ماجد » هو كيس الرمل الذي يتدرّبون عليه في وحشية.. وراحت لكماتهم تصيب كل جزء في جسده مع دوران الحجر الدائري.

لم يتأوّه « ماجد » ولم يصرخ شأن الكثيرين ممّن يتعرّضون للبرنامج.. فبعد اللكمة الرابعة أو الخامسة تخدّرت أعضاؤه وصار يحسّ باللكمات والضربات كأنها تصيب الجدران خلفه.. وتورّمت جبهته وعيناه وسالت الدماء من أنفه.. ولكنه مع ذلك لم تصدر منه أنّة ألم..

وتوقّف العمالقة الأربعة عن الضرب بعد دقائق يلتقطون انفاسهم.. وظهر الجنرال في مدخل الزنزانة الضيّقة.. وأشار برأسه فعاد العمالقة يكملون عملهم.

وكاد « ماجد » يفقد وعيه من الألم.. وعلى الفور أحضر أحد الرجال الأربعة قنينة كبيرة فتح فوهتها وصبّها فوق جسد « ماجد ».. وأحسّ « ماجد » كأن النار قد اندلعت في جسده، فقد كان ما صبّه الرجل فوق جروحه كحول مركّز أشعل جروحه بالنار.

وجزّ « ماجد » على أسنانه من شدّة الألم، ولكنه برغم ذلك لم يُطلق صرخة واحدة.

وبهدوء قال الجنرال « بانشنكو » : ان الفرصة لا تزال سانحة أمامك.

ووصلت كلمات رجل المخابرات الروسي إلى « ماجد » مشوّشة كأنها تأتي من بعيد وسط غمامات وجبال وأطياف.. واستجمع « ماجد » قوته ليقول : لن تحصل مني على شيء.

ألقى الجنرال سيجاره في غضب وداس عليه بقدمه فسحقه، وهتف في رجاله الأربعة : فلتأخذوه إلى « حجرة الموسيقى » ليكمل البرنامج.

اندفع الرجال الأربعة نحو « ماجد » فحلوا قيوده، ولم تكن « بماجد » قدرة على السير فحمله الرجال الأربعة فوق أكتفاهم، وأسرعوا به عبر السرداب إلى زنزانة أخرى والقوه فيها وغادروها بعد أن أوصدوا بابها الألكتروني خلفهم.

وكانت الزنزانة الثانية مشابهة للأولى.. غير أنه لم يكن بها قيود إلى الحائط.. وكانت هناك كاميرا تليفزيونية في السقف وُضعت لمراقبة السجين أينما اتّجه في الزنزانة الضيّقة.

ولم تكن « بماجد » قدرة على الوقوف.. ولكنه برغم ذلك كان لا يزال متمالكاً وعيه فقد كان يعلم أن البرنامج لم ينته، وأن هذه ليست سوى البداية، وأن ما أطلق عليه الجنرال « بانشنكو » « حجرة الموسيقى » لا بد وأنها تحمل صنفاً آخر من التعذيب.

ولم تكد تمر ثوان قليلة حتى تأكّد « ماجد » من ظنّه.. فقد بدأت المياه تتدفّق في الزنزانة.. وكانت هناك فتحات صغيرة بأركان الحجرة تدفّقت المياه منها وراحت تعلو بسرعة حتى قاربت أن تغطي كتفي « ماجد ».

وهتف « ماجد » هادراً : أيها القساة.. انكم حتى لو أغرقتموني هنا فلن تنتزعوا مني كلمة واحدة.

وجاء صوت الجنرال « بانشنكو » من ميكروفون صغير بأعلى الزنزانة قاسياً ساخراً وهو يقول : إن الغرق نعمة لن تحصل عليها.

وتوقّفت المياه عندما وصلت إلى مستوى عنق « ماجد ».. ثم بدأت الموسيقى تصدح.. واندهش « ماجد » فلم يكن يعرف حتى تلك اللحظة ماذا ينوون أن يفعلوا به.

وجاءته الاجابة سريعاً.. فمن مكان ما انطلق تيار كهربائي داخل الماء.. وأحسّ « ماجد » بارتجافة جسده في الماء المكهرب والأرضية المكهربة أسفل قدميه، فشرع يقفز فوق الأرضية بقدميه العاريتين على حين كانت الموسيقى تصدح حوله لتتناسب مع قفزاته وحركات قدميه!

وجزّ « ماجد » على نواجذه من شدّة الألم.. لقد عرف ما هي « حجرة الموسيقى ».. وها هو يرقص على أنغامها من شدّة الألم!

راح « ماجد » يقفز ويقفز وقد ارتعش جسده واتّقدت عيناه فصارتا بلون الدم.. ولم يكن هناك أي ملجأ أو مفرّ.. كان الماء مكهرباً ولكن بقدر محسوب حتى لا يصعقه.. كانوا يريدون اضعاف مقاومته حتى يدفعوه إلى الاستسلام أو الاعتراف.. ولو كان هناك شخص آخر يتعرّض لما تعرّض له هو لأستسلم في الحال واعترف بما يريدون.. ولكن بأي شيء يعترف لهم.. وحتى لو كان لديه ما يعترف به أيظنونه سيعترف لهم ولو أرسلوه إلى الجحيم وليس إلى موسيقاهم المكهربة؟ وبعد قرابة ساعة توقّف سريان الكهرباء في الماء.. وشرع منسوب الماء يهبط ببطء في الزنزانة. وجاء صوت الجنرال « بانشنكو » وهو يقول : إن لك مقدرة هائلة على الاحتمال أيها الثعلب.. ولا شك أن الدارسين في معهد المخابرات سيستفيدون من الفيلم الذي التقطناه لك كنموذج رائع لقدرة الجسد البشري على احتمال الألم، إن آخر العملاء الذين تمتّعوا بموسيقانا إنهار بعد عشر دقائق.

تهالك « ماجد » فوق الأرض.. كانت جراحه تؤلمه بشدّة، وكان يحسّ أن جلده ملتهب من الكحول فوق جروحه وبسبب الكهرباء.. وكان الألم في أنفه فظيعاً من لكمة العملاق.. وكان يشعر كأن النار قد اندلعت داخل عينيه.. وتمنّى لو أنه أغمض عينيه قليلاً وتمدّد في استرخاء في مكانه.. وبالفعل فقد وعيه بعد ثوانٍ قليلة.

• • •

« المخابرات الأمريكية »

عندما فتح « ماجد » عينيه كان ذهنه مختلطاً مشوّشاً.. كانت ثمة ذكرى بعيدة عن شيء ما يسمّى « البرنامج » وعن حجرة الموسيقى.. وكان ثمة احساس فظيع بالألم لا يزال ناشباً اظافره في وعيه واحساسه الداخلي.

أخيراً استردّ وعيه واستوعبت عيناه الأشياء حوله.. كان راقداً في فراش نظيف مغطّى بملاءة بيضاء حتى منتصف صدره، وقد انحنى رجل في معطف أبيض يعطيه حقنة في ذراعه، على حين وقفت فتاة رقيقة الملامح برداء ناصع البياض أمام عربة صغيرة متحرّكة امتلأت بالمقصّات والشاش الأبيض والقطن والمطهّرات.

وكانت هناك سلة صغيرة إلى يسار الفراش قد امتلأت بالشاش الملوث بالدماء والقطن المستعمل. راقب « ماجد » الطبيب بصمت، والتفت نحوه الطبيب ببشاشة قائلاً : لقد استعدت وعيك أخيراً..

إن لك بنية قوية جداً ساعدت على تجاوزك مرحلة الخطر.. وستساعدك حقنة المورفين على تحمّل آلام جروحك.

رد ماجد : إن لكم برنامجاً حافلاً وحجرة موسيقية كفيلة بارسال فيل إلى الجحيم!

طوى الطبيب ادواته داخل حقيبته متجاهلاً حديث « ماجد » وهو يقول : لست أدري عما تتحدّث أيها الرفيق.. ومن الأفضل أن تدخر قواك لأنك بحاجة إليها.

غمغم ماجد : معك حق.. ان باقي البرنامج ولا شك ينتظرني.

رمق الطبيب « ماجد » لحظة ثم قال له : سآتي في العاشرة مساء لأغيّر على جروحك واعطائك حقنة مخدّرة حتى تستطيع تحمّل آلامك والنوم في هدوء.

وعندما تأهّب لمغادرة الحجرة انفتح بابها وظهر بمدخلها الجنرال « بانشنكو » بسيجاره الكوبي، وعلى الفور غادر الطبيب والممرضة الحجرة التي وقف على بابها أربعة حراس بجيوب منتفخة دسوا أيديهم بداخلها وقد تأهّبوا بشدّة للتدخل في أي لحظة.

وارتسمت ابتسامة واسعة فوق شفتي الجنرال وهو يقول : لقد استعدت وعيك أخيراً.. إنني سعيد لأراك في أتم صحة.

قال « ماجد » ساخراً : انني أتعجب لأجل كل هذه العناية الفائقة،

ولا أظن أن برنامجكم يتضمّن أي نوع من الرعاية الطبية.

ــ اننا نحتاجك حياً أيها الرفيق.. ولن تمكث هنا طويلاً.. فما أن تستردّ جزءاً من قوتك حتى نستردك مرة أخرى.

ــ لا بد أن هناك حجرات موسيقية عديدة تنتظرني على أحر من الجمر لتسمعني موسيقاها الرائعة.

ــ إن لك روحاً مرحة أيها الرفيق.. ومن المؤسف أن الموقف لا يحتملها، ولا أنا أيضاً!

قطب « ماجد » جبينه ساخراً وهو يقول : ترى ماذا جدّ في الأمر.. هل هناك من ينافسك في لقب « الجنرال الدموي »، دعني أقابل هذا المغرور وأقنعه بزيف دعواه.

قال الجنرال ببطء : لقد وصلتنا معلومات مؤكَّدَة بأن الأمريكان على وشك الوصول إلى مكان الميكروفيلم.. أما كيف ومتى فهذا ما لا نعرفه.

ــ هذا مؤسف حقاً.. ترى أتشك أنني أرسلت حمامة زاجل إليهم لأخبرهم بمكان الميكروفيلم؟

ظهرت القسوة الشديدة في عيني الجنرال « بانشنكو » وهتف بصوت به غضب كظيم : قلت لك دعك من اللهجة الساخرة..

إن أشياء كثيرة تتوقّف على قدرة الأمريكان في الوصول
إلى الميكروفيلم قبلنا.

ماجد: أتقصد أن تقول إن بقاءك في منصبك يتوقّف على هذا الأمر؟

ارتعشت أهداب الجنرال الروسي فأدرك « ماجد » أنه أصاب الهدف في الصميم.

وعاد « ماجد » يقول: اذن فأنا الورقة الأخيرة في أيديكم للوصول
إلى الميكروفيلم قبل المخابرات الأمريكية.. يا إلهي.. لم
أكن أظن أنني بمثل هذه الأهمية.. ويبدو أن هذا هو السبب
الذي جعلكم تأتون بي إلى المستشفى للعلاج.

قال الجنرال بلهجة رقيقة: انني أعتذر عما حدث أيها
الرفيق.. لقد تبدّلت الأمور تماماً.. إننى أعدك الآن أن
أمنحك ما تشاء.. حريتك.. والملايين.. وجواز سفر بأي
جنسية لأي دولة في العالم لتعيش فيها إلى الأبد بعيداً عن
كل خطر.. إنني أؤمن لك المستقبل تماماً.

أكمل ماجد: والثمن هو الميكروفيلم.. أليس كذلك؟

سحق الجنرال سيجاره الفخم بقدمه وهو يقول: نعم.

وبعيون ضيّقة شديدة القسوة تساءل: ما هو ردك؟

سادت لحظة من الصمت.. وكان على « ماجد » استغلال الفرصة التي أتيحت له بلا انتظار.

ألقى « ماجد » ببصره نحو نافذة الحجرة ذات القضبان الحديدية السميكة وهو يقول: اعطني فرصة للتفكير.

نهض الجنرال وهو يقول: أمامك فرصة حتى صباح الغد.. إنني لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك.

وتقدّم الجنرال نحو الباب فقال ماجد: انك باجة إلى اثبات حسن النية على الأقل.

أمسك الجنرال بمقبض الباب وهو يقول: سآتيك صباح الغد بدفتر حساب باسمك في بنوك سويسرا بمبلغ عشرة ملايين دولار.. وستنقلك طائرة خاصة إلى أي مكان في العالم بأي جواز سفر وجنسية تريدها، ولا يمكنني أن أقدّم لك أكثر من ذلك.. كما أنني لا أستطيع أن أمنحك شيئاً من هذا قبل أن تعطيني الميكروفيلم.

وغادر الجنرال الحجرة.. وأغمض « ماجد » عينيه.. لقد ضاقت الفرصة الممنوحة له.. وذلك الجنرال يظن أنه يعرف مكان الميكروفيلم.. وكان عليه أن يتصرّف ويحاول أن يغادر المستشفى بأي ثمن قبل الصباح وإلا فسينكشف أمره.

غادر « ماجد » فراشه واقترب من النافذة الحديدية.. كان يدرك

أن هناك عيناً خفية ترقبه.. ولم يكن يريد أن يبدو بمظهر من يفكّر في الفرار.

وتظاهر بأنه يمد يديه بلا قصد نحو النافذة وتأكّد مما ظنّه عندما سرى في اصابعه تيار كهربي صاعق.. كانت النافذة مكهربة.. وكان يوجد خارج الباب أربعة حراس على استعداد لاطلاق الرصاص عند أول محاولة للفرار.. وفوق ذلك كله كانت حركاته كلها مرصودة بعيون خفية لا يراها ولكنه كان موقناً من وجودها.

استدار « ماجد » فاصطدم بصره بمرآة صغيرة معلّقة فوق الجدار.. وهاله ما شاهده في وجهه، كان وجهه مليئاً بالجروح والخدوش وجلده ملتهباً.. وكان هناك جرح كبير في جبهته قد غُطّي بالشاش.. وسقط بصره نحو ساعديه، كانا يبدوان كما لو كانا محترقين وقد امتلئا بالخدوش.

غلى الغضب في قلب « ماجد ».. كانت تلك هي المرة الأولى التي يتعرّض فيها لمثل هذا التعذيب وتصبيبه الجروح والاصابات بمثل تلك الصورة.

وكان في موقف لا يتيح له التفكير في أي رد.. إن أبلغ رد يوجّهه للجنرال الدموي هو أن ينجح في الهروب من ذلك المكان ومعه الميكروفيلم ويعود به إلى بلاده.

ولكن كيف وقد مات السر مع « ماكس ».. أيمكن أن يكون لا يزال هناك أمل لدى « ايفانا بافلوفتش »؟

وتنهّد « ماجد ».. كانت تلك كلها أشياء سابقة لأوانها وللتفكير فيها.. وعليه أن ينجح في الهرب من المستشفى أولاً، وبعد ذلك ليكن ما يكون.

تمدّد « ماجد » في فراشه واطفأ النور.. وحل الظلام بالحجرة.. كان هذا يتيح له الهرب من عيون مراقبيه.. وأخذ يتفحّص سقف الحجرة وأركانها العليا محاولاً برغم الظلام تحديد مكان العين التليفزيونية التي تراقبه.. ووجد أن أنسب مكان لها لتكشف الحجرة بالكامل هو الركن الأيسر بجوار الباب.

وبالفعل نهض واقترب محاذراً.. وبأيدي خبيرة مدرّبة استطاع الوصول إلى العين التليفزيونية بأعلى ركن الباب، وأمسك « ماجد » بقطعة لاصق صغيرة من اللاصق الذي يغطي جبهته ونزعها ثم لصقها فوق العين التليفزيونية.. وأضاء النور وهو آمن مطمئن إلى أن مراقبيه لن يشاهدوا إضاءة النور أو أي شيء آخر، وستتكفّل قطعة اللاصق بمنحهم ظلاماً مستمراً فيظنونه نائماً وأن ضوء الحجرة لا يزال مطفئاً.

وكانت بقية خطة « ماجد » بسيطة.. فما أن يدخل الطبيب إلى الحجرة لاعطائه الحقنة المخدّرة حتى يفاجئه بضربة تفقده وعيه، ثم يرتدي ملابس الطبيب ويخرج بها، وكانت المشكلة هي

الممرضة، وكان عليه التصرّف معها قبل أن تحاول الصراخ أو الاستنجاد بالحراس الأربعة المسلّحين الواقفين بباب الحجرة.

تمدّد « ماجد » فوق فراشه قلقاً ومرّ الوقت ببطء قاتل.. وأحسّ باقتراب أقدام من الحجرة وقفز إلى جوار بابها واختبأ في خفة.

وانفتح الباب وظهرت الممرضة وهي تدفع عربة الأدوات الطبية، وعلى الفور امتدّت يد « ماجد » لتطبق فوق فمها، وفوجئت الممرضة بالحركة وجحظت عيناها من المباغتة وإن لم تتح لها يد « ماجد » أي قدرة على الصراخ أو الاستنجاد، وعندما خطا الطبيب داخل الحجرة امتدّت يد « ماجد » الطليقة لتغلق الباب بسرعة.. ثم انطلقت في لكمة ساحقة نحو بطن الطبيب.. وانحنى الطبيب لشدّة الضربة وقد جحظت عيناه من الألم وبدتا كأنهما ستقفزان من محجريهما.. وعاجل « ماجد » الطبيب بلكمة أخرى مدّدت الطبيب فوق الأرض بلا حراك.

وهمس « ماجد » بصوت مُهدد في أذن الممرضة بالانجليزية : اذا ما حاولت الصراخ أو الاستنجاد فسوف أقتلك.

وأزاح يده ببطء من فوق فم الممرضة وقد أمسك بمشرط طبي التقطه من عربتها وقرّبه من وجهها مهدّداً فلمح شبح ابتسامة فوق وجه الممرضة وقالت بصوت هامس بالانجليزية : انك بارع حقاً، كنت أنوي أن أساعدك لتغادر هذا المكان.

وحانت منها نظرة نحو العدسة التليفزيونية التي غطاها « ماجد » باللاصق وقالت باعجاب شديد : يا لك من ماهر.. كنت سأقترح عليك نفس الخطة.

حملق « ماجد » في الممرضة بدهشة وهو يقول : من أنت؟

ردت الممرضة بسرعة : ليس هذا وقت الأسئلة.. هيا بنا فإن هناك سيارة تنتظرنا على مقربة.

ابتلع « ماجد » دهشته، ولم يكن هناك وقت للأسئلة، وأسرع يخلع ملابس الطبيب ويرتديها.. ونزع الضمادة من فوق جبهته.. وأخرجت الممرضة من جيبها بودرة بيضاء راحت تنثرها بمهارة فوق جبهة « ماجد » ووجنتيه فأخفت جروحه وظهر وجهه خالياً منها.. ثم أخذت من عربة الأدوات الطبية الحقنة المخدّرة وحقنت بها الطبيب الغائب عن الوعي وهي تقول : إن هذا كفيل بأن يتركه نائماً حتى الصباح.

وحمل الاثنان الطبيب ومدّداه فوق الفراش وغطّياه بالملاءة البيضاء.. واقتربت الممرضة من الباب وهي تقول لماجد هامسة : اتبعني وحاول ألا تجعل الحراس ينتبهون.

أومأ « ماجد » برأسه في صمت.. وفتحت الممرضة الباب وهي تدفع عربة الأدوات الطبية أمامها و« ماجد » خلفها، وقد اندفع

خارجاً بسرعة ووجهه منكّس للأرض لكي لا يتيح للحراس الأربعة التمعّن فيه.

ومر الاثنان في الممر بدون أن يعترضهما أحد.. وتوقفا أمام باب المصعد، وضغطت الممرضة فوق زر باب المصعد، وعلى البُعد ظهر بعض الأطباء والممرضين قادمين.. وأحسّ « ماجد » بالقلق الشديد فلو شاهده الأطباء والممرضون لشكوا في أمره واكتشفوا أنه ليس زميلاً لهم.

وانفتح باب المصعد في اللحظة الأخيرة فاندفع « ماجد » والممرضة داخله، وضغط « ماجد » زر غلق المصعد وتنفّس في راحة عندما بدأ المصعد هبوطه.

وهمس « ماجد » للممرضة : كيف سنخرج من البوابة الرئيسية.. لا بد أن هناك حراسة قوية وسوف يشكّون بي حتماً.

ردّت الممرضة بثقة : ان كل شيء مرتّب فلا تقلق.

واتجّهت الممرضة وخلفها « ماجد » إلى مبنى صغير في مدخله عدة سيارات اسعاف.. وتبادلت الممرضة مع أحد السائقين حديثاً بالروسية فأومأ السائق برأسه بسرعة وأسرع إلى سيارته وأدارها..

وعرف « ماجد » على الفور خطة الممرضة.. أن تخرج معه داخل سيارة اسعاف كأنهما ذاهبان لاحضار أحد المصابين.

على الفور قفز « ماجد » والممرضة داخل السيارة من الخلف، وعبرت السيارة بوابة المستشفى بلا مشاكل، ثم انحدرت إلى الطريق بسرعة.

والتفت « ماجد » إلى الممرضة متسائلاً : انك لم تخبريني من أنت وما هو هدفك من مساعدتي للهروب من المستشفى.

لم ترد الممرضة، وأخرجت من جيب معطفها مسدّساً صوّبته إلى « ماجد » وهي تقول : اذا حاولت القيام بأي مقاومة فلن أتردد في اطلاق الرصاص عليك فوراً.. إن لدي أوامر بذلك من رؤسائي.

ضاقت عينا « ماجد » وهو يتأمّل مسدّسها الصغير من طراز « زيغ سوبر ب ٢٣٠ » وقال باسماً : هذا مسدّس يفضّل رجال المخابرات الأمريكية استعماله لصغر حجمه وسهولة استعماله ومداه المؤثّر.. أليس كذلك.. كنت أتساءل متى سيظهر رجال الـ (CIA) في الصورة؟

لم تنطق الفتاة وظلّت مصوّبة مسدّسها الى « ماجد » وعيناها لا تطرفان.. وتوقّفت سيارة الاسعاف، فقد كانت هناك سيارة معطّلة تسدّ الطريق، واقترب سائق السيارة المعطّلة من سائق سيارة الاسعاف وهو يحاول الاعتذار له.. وبطلقة من مسدّس كاتم للصوت من الرجل تمدّد السائق بلا حياة فوق مقعد السيارة.

وظهر ثلاثة رجال مسلّحون من سيارة أخرى كانت واقفة على مسافة قريبة فأحاطوا بسيارة الاسعاف شاهرين مسدّساتهم نحو « ماجد »..

وعرف أنه صار في قبضة المخابرات الأمريكية هذه المرة!

° ° °

« صراع ثلاثي »

غادر « ماجد » سيارة الاسعاف إلى السيارة الثانية والمسدّسات الأربعة مصوّبة إليه، وأحاط به اثنان من المسلّحين في المقعد الخلفي على حين جلست الفتاة الممرّضة في المقعد الأمامي بجوار السائق وأخفت مسدّسها داخل سترتها.. وانطلقت بهما السيارة إلى وجهة مجهولة.

قال « ماجد » للفتاة : اذن فقد استطعتم اختراق صفوف السوفيات.. هذا مؤثر.. إن زرع ممرضة تابعة للمخابرات الأمريكية في مستشفى تابع للمخابرات الروسية في « موسكو » هو مسألة لا تقلّ صعوبة عن الهبوط فوق القمر، ويبدو أنني محظوظ لأتمتّع بخدماتكم واهتمامكم على هذا النحو.

راقبته الفتاة بصمت ولم تنطق.

وعاد « ماجد » يقول : انني لا أفهم سر تصرّفكم هذه المرة.. يمكننا أن نعذر الروس فهم كانوا بحاجة إليّ.. ولكن ما

هي حاجتكم لي، فحسب ما عرفت فقد اقتربتم كثيراً من الميكروفيلم.

قالت الفتاة ساخرة: هذا صحيح.. بوجودك معنا فقد اقتربنا كثيراً من استعادته.

تساءل «ماجد» بعيون ضيّقة: اذن.. فقد كانت تلك المعلومات التي سرّبتموها إلى الروس عن قرب حصولكم على الميكروفيلم مجرّد خدعة.

ـــ ها قد بدأ عقلك ينشط.. كان ذلك من أجل ارباكهم حتى يتسنّى لنا تهريبك وبذلك يمكن بالفعل أن نقول اننا صرنا قريبين جداً من معرفة مكان الميكروفيلم.. بحصولنا عليك!

هتف ماجد: مرحى مرحى.. انكم لا تقلّون براعة عن اصدقائنا الروس.. إن اللعب عالي التكتيك هذه المرة.

وتأمل الطريق الذي راحت السيارة تقطعه، ولاحظ وجود سيارة بالخلف تتبعهم وقد أطفأت كشافاتها فأدرك «ماجد» أنها تابعة للمخابرات الأمريكية أو لمخابرات الأعداء الذين لا بد وأنهم يتعاونون مع الأمريكيين بطريقة ما في تلك القضية، والتفت إلى الفتاة قائلاً: اننا نتّجه خارج «موسكو» أليس كذلك.. ويبدو أن هناك بعض الأصدقاء يتبعوننا منذ وقت.

صوّب الشخص الجالس إلى اليمين مسدّسه في وجه «ماجد»

بلهجة تهديدية وعيون غاضبة محذّرة بدون أن ينطق فقال « ماجد » للفتاة : أتستأجرون خُرساً لتنفيذ مهامكم.. من المؤكد أن شخصاً
مثل صاحبنا هذا لو شاهد الحجرة الموسيقية وحل ضيفاً على أصدقائنا الروس لأنطقوه بألف لغة، حتى لو كانت القطة قد أكلت لسانه من قبل!

هتف الرجل بصوت متحجّر : لماذا لا تكفّ عن الضجيج وتغلق فمك الثرثار؟

رد ماجد : اذن فإن القطة لم تأكل لسانك.. هذا حسن.. وماذا أفعل إذا كففت عن الحديث؟

— تضع لسانك في فمك والا فانني سأصبح عصبياً جداً، وأنا عندما أصير عصبياً فلا يمكنني التنبّؤ بما سأفعله في تلك اللحظة.

— أنا أيضاً أصبح عصبياً عندما أكف عن الحديث.. وهكذا ترى أننا نحن الاثنين في موقف صعب، اذ يتعيّن عليّ أن أتحدّث، ويتحتّم عليك أن تستمع، فهكذا تفترض الأصول، حيث أنني في ضيافتكم!

ظهر الغضب في عيني الرجل، ورفع مسدّسه بحنق ليهوي به فوق رأس « ماجد »..

وهنا لا بد أن نقول إنه أخطأ بذلك خطأً كبيراً.. وأن « ماجد » قد استدرجه بسذاجة ليفعل ما يريد بالضبط!

فقبل أن تهبط يد الرجل الممسكة بالمسدّس فوق رأس « ماجد » كانت يد « ماجد » أسبق، فأمسك بمعصم الرجل بيده اليمنى، وبنفس اللحظة فتح باب السيارة ليدفع الجالس على يساره خارج السيارة بدفعة قوية من قدمه.

تم ذلك كله بسرعة بالغة لم تستغرق غير ثانية واحدة.. وقبل أن تتمكّن الفتاة الجالسة في المقعد الأمامي من اخراج مسدّسها انطلقت رصاصة من مسدّس الرجل الجالس على يمين « ماجد » والذي أمسك « ماجد » بمعصمه وضغط عليه بشدّة، فأصابت الرصاصة جبهة الفتاة فانكفأت على وجهها ميتة.. وانحرف السائق بسيارته بشدّة فوق الجليد، وبضربة سيف يد أسقط « ماجد » المسدّس من يد الجالس على يمينه، وبقبضته وجّه إليه لكمة ساحقة، وفي أقل من ثانية كان الرجل يتدحرج فوق الجليد ساقطاً من السيارة وخلفه زميلته القتيلة.

التقط « ماجد » المسدّس ووجّهه إلى السائق قائلاً بصوت بارد يحمل كل الوعيد: استمر في الانطلاق وانحرف في أول طريق فرعي.

انطلق السائق بالسيارة في صمت وقد ظهرت ملامحه فزعة في

مرآة السيارة الداخلية.. وراقب « ماجد » السيارة القادمة من الخلف فشاهدها على مسافة.. ودوت طلقة مكتومة منها اصابت جدار السيارة في الخارج مما دلّ على أن ركاب السيارة الثانية عرفوا ما حدث لرفاقهم داخل السيارة الأولى.. وعرف « ماجد » أن ركابها تابعون لمخابرات الأعداء والتي سرق منها « ماكس » الميكروفيلم.

قال « ماجد » للسائق: لا أظن أن الروس يحبون من يزعجهم ويوقظهم من أحلامهم بطلقات الرصاص، خاصة إذا كانت من مسدّسات كاتمة للصوت.. هيا أيها الصديق فلتنحرف في الطريق القادم فقد بدأت أملّ هذه اللعبة، هذا بالاضافة إلى أن شهيتي قد انفتحت للنضال والعراك.

انحرف السائق بالسيارة في الطريق الضيّق إلى اليسار والذي حجبته الأشجار الكثيفة والظلام عن الطريق الرئيسي.. وانطلقت يد « ماجد » بمؤخّرة المسدّس فوق رأس السائق فانكفأ فوق عجلة القيادة، وفي لحظة احتلّ « ماجد » مكانه وألقاه خارجاً.. واستعدّ للمواجهة القادمة. اقتربت السيارة الثانية وانحرفت في الطريق الفرعي وقد اضاءت أنوار كشافاتها، وما أن لمح قائدها السيارة المعطّلة إلى ركن الطريق حتى أوقف سيارته بصوت حاد، واندفع من السيارة ثلاثة رجال وهم يصوّبون مسدّساتهم ويسبّون ويشتمون، وأسرعوا نحو السيارة الأخرى فوجدوها فارغة لا أحد بها.

تطلّع الرجال الثلاثة حولهم وقد شملهم غضب شديد، وهتف

أحدهم حانقاً : هذا الثعلب المصري.. أين اختفى؟

وجاءه تساؤل من الخلف : أتبحث عني أيها الصديق؟

واستدار الرجال الثلاثة في لحظة واحدة.. وهي نفسها اللحظة التي انطلقت فيها ثلاث رصاصات متتابعة من المسدّس الصغير « زيغ سوبر » في أقل من ثانيتين، وانكفأ الرجال الثلاثة فوق الجليد كأجولة الملح وقد اصابتهم الرصاصات في مقتل.

تأمّل « ماجد » المسدّس باعجاب وقال : انهم يجيدون اختيار الأسلحة حقاً، ولا بد أنه سيزداد إعجابهم بمسدّسهم عندما يتّصل بهم الحانوتي لدفن هؤلاء الأغبياء الثلاثة.

واتجه إلى السيارة الأولى وأدار محرّكها.. وشرع يشقّ الطريق بها عائداً إلى « موسكو ».

* * *

« ايفانا بافلوفتش »

لم يكن من عادة « ايفانا بافلوفتش » الاستيقاظ مبكراً.. وهو أمر قد يبدو شاذاً وغير مألوف بالنسبة لأي شخص يعيش في « روسيا »، فالاستيقاظ المبكّر والاتجاه إلى العمل في مواعيد محدّدة مضبوطة هو أمر مقدّس بالنسبة للشعب الروسي.

ولكن « ايفانا بافلوفتش » كانت شأنها شأن الطبقة الراقية في طول البلاد وعرضها لا تتقيّد بمثل ما يتقيّد به العامة.

وهكذا فتحت عينيها بعد الظهر بقليل.. وكعادتها بعد استيقاظها أخذت حماماً بارداً برغم برودة الجو الشديدة، ثم أسرعت في أداء بعض التمارين لمدة ساعتين حتى اصابها الاجهاد الشديد.. وكان حماماً بارداً آخر كفيل بانعاشها.

وقرابة العصر تناولت (افطارها).. واسترخت للقراءة مدة ساعتين.. ومع أول خيوط الليل كانت ترتدي ملابسها وتستقل سيارتها الخاصة إلى مسرح البولشوي..

وأسعدها تلك الليلة التصفيق المتواصل الذي استمرّ أكثر من المألوف بدقيقة ونصف بعد انتهاء عرضها اليومي.

وقادت السيارة عائدة إلى بيتها في منتصف الليل وهي تحس بالاجهاد وكثير من التوتّر والقلق. وأغلب النظارة ومشاهدو الفرقة لم يكن أكثرهم فطنة وتدقيقاً ليعطي « ايفانا بافلوفتش » أكثر من اثنين وثلاثين سنة عمراً.. ولكن التجاعيد التي أظهرها التعب والاجهاد حول وجهها وزوايا عينيها أظهرت بوضوح أنها تخطو نحو الأربعين من عمرها على الأقل..

وما لبثت سعادتها التي أحسّت بها وهي تقف لتتلقّى تحية الجمهور مع زملائها أن تبدّدت وحل محلّها شعور بالانقباض والضيق من كل شيء..

كانت حياتها كلها تمضي على وتيرة واحدة بلا تغيير.. وبرغم الكثير من الامتيازات التي كانت تتمتّع بها هي ونجوم الفرقة من سكن فاخر وسيارة وسفر إلى كل بلاد العالم ومزايا عديدة داخل بلدها، إلا أن شعورها لم يتبدّد أبداً..

بالضبط كانت تشعر أنها ترس ضئيل في آلة ضخمة دوارة هائلة، وأنها سواء استمرّت تؤدّي عملها أو طواها النسيان أو حتى ماتت فجأة فوق فراشها، فإن هذا لم يكن ليغيّر شيئاً أبداً حولها.. وسوف يذهب الجمهور ليصفّق للنجمة التالية التي ستحل محلّها في الفرقة.

ولهذا فانها لم تتزوّج أبداً.. وكأنها كانت تخشى من الانجاب حتى لا يعاني ابنها أو ابنتها نفس ما عانته.. وتحطّمت كل قصص حبها بسبب ذلك الخوف الكامن في أعماقها من شيء مجهول قديم.

وتجدّدت مخاوفها وأحزانها وآلامها وانبثقت مرة واحدة عندما أخبرها مدير الفرقة أن أوبرا جديدة ستعرض بعد أسابيع قليلة.. وأنها لن تكون النجمة في تلك الأوبرا.. وكان هذا يعني أنها لن تسافر مع الفرقة في الرحلة القادمة الى أوروبا بعد اسبوعين، وأن النجمة الجديدة المنتظرة صغيرة السن ستحلّ محلّها.

كانت تتوقّع ذلك منذ شهور بعيدة.. فانها لم تعد تؤدّي العروض برشاقتها وبراعتها السابقة.. السن بدأ يفرض أحكامه عليها والفرقة بحاجة إلى تجديد.. وهي لا تستطيع أن تقف في وجه التطوّر والزمن.

مسحت دموعها وهي تقود سيارتها في الطريق الجليدي الخالي من البشر والسيارات في ذلك الوقت المتأخّر من الليل.. ومضت أيام حياتها السابقة مثل شريط سينمائي أمام عينيها.. يوم دخلت مدرسة البالية وهي طفلة.. يوم انضمّت إلى معهد البالية العالي في موسكو.. يوم انضمّت إلى فرقة « البولشوي » أعظم فرق البالية في العالم.. يوم صارت نجمة الفرقة الأولى. المجد.. المال.. الشهرة.. السفر.. الامتيازات.. النجاح.. التصفيق الهادر.. وها هي تسعى نحو الهاوية.. فالقمة لا يستقرّ أحد عليها طويلاً.. خاصة في مهنتها. أوقفت سيارتها أمام باب منزلها.. هبطت منها ببطء..

فتحت باب منزلها ودخلت.. تعيش وحيدة منذ أعوام طويلة.

واضاءت نور الردهة.. واستلقت فوق أقرب مقعد وأخفت وجهها بكفّيها وأجهشت في البكاء بشدّة.. واستمرّت تبكي لحظات طويلة.

وقطع نشيجها صوت هادئ يقول: أيمكنني تقديم يد المساعدة يا سيدتي؟

رفعت « ايفانا » عينيها بدهشة فشاهدته أمامها.. طويلاً ذا أكتاف عريضة وشعر أسود فاحم وعينين عسليّتين واسعتين شديدتي العمق والجاذبية.. وكان بوجهه ندوب وخدوش عديدة ولكنها لم تقلل من وسامته بل زادته وسامة.

وتساءلت « ايفانا بافلوفتش » ذاهلة وقد كفّت عن البكاء: من أنت؟

جلس « ماجد » أمامها ونظر إلى عينيها مباشرة وهو يقول: انني واثق أنك تعرفين تماماً من أكون!

* * *

« ماضي.. وحب.. وجاسوسية! »

قالت « ايفانا » ذاهلة : يا الهي.. أهو أنت.. هذا مستحيل.. كيف استطعت الوصول إلى هنا؟

قال « ماجد » في بساطة : يبدو أنك لم تتوقعي رؤيتي.. إن هناك مثلاً شائعاً في بلادنا يقول إن من يسأل لا يضلّ طريقه!

عضت « ايفانا » على شفتيها قائلة : منذ أن اختفى « روجيه » أدركت أنك أنت أيضاً ستختفي إلى الأبد.

رفع « ماجد » حاجبيه قائلاً : إذن فإن اسم « ماكس » الحقيقي هو « روجيه ».. هذا تقدّم لا بأس به.. ولكنني لا أعرف حتى الآن ما هي العلاقة بينكما.

مضت لحظات من الصمت، ونطقت « ايفانا » أخيراً فقالت والدموع تبلّل عينيها : إنه أخي!

حدّق « ماجد » في الفتاة بدهشة وقال غير مصدّق : أخوك.. ولكنه..

قاطعته بمرارة قائلة : انه أخي من أمي.. فقد أنجبته أمي في احدى مستشفيات « المانيا »، وعندما قامت الحرب الثانية وأعلن « هتلر » الحرب على « روسيا » هربت أمي من « المانيا » تاركة أخي « روجيه » الصغير هناك واستقرّت على الحدود الروسية ولم تتمكّن من استعادة « روجيه » ثانية، ثم تزوّجت من جندي ألماني عند اندفاع جيش هتلر الى البلاد في بداية الحرب وكنت أنا ثمرة هذا الزواج من أب الماني.

ماجد: وبعد ذلك؟

— ماتت أمي.. أو بالأدق اختفت ولم يعرف لها أحد مكاناً.. وكان هذا شأن أغلب الروسيات ممن تزوّجن بالجنود الألمان فقد كانت أوامر « ستالين » هي التخلّص منهنّ في سرية وصمت..

ماجد: ولا أظن أن أحداً هنا يعرف هذه الحقيقة.. حقيقة مولدك؟

— لقد اخفت أمي حقيقة مولدي ولم يعرف أحد أن والدي جندي الماني في جيش « هتلر » والا لكان مستقبلي قد تحطّم تماماً هنا.. وبعد اختفاء أم تبنّتني أسرة روسية صغيرة لم يكن لها أبناء، وهكذا حملت اسمها واكتسبت الجنسية الروسية بعد أن اختفى التاريخ الحقيقي لمولدي واختفى هذا السر إلى الأبد.. لولا..

وعضّت شفتيها ندماً على خطئها.. وببطء قال ماجد :
لولا الكولونيل « سيرجي ».. « ماكس المزيّف » أليس كذلك؟

قالت ذاهلة : اذن فأنت تعرف؟

— ليس بالضبط.. انني أفضّل أن أستمع إلى القصة كاملة منك.

بان التردد على وجه « ايفانا » ولكنها حسمت رأيها بعد لحظات، وظهر الارهاق الشديد عليها وتضاعفت الغضون فوق وجهها وهي تقول : كان الكولونيل « سيرجي » يحبّني بجنون وأراد أن يتزوّجني.. ولكني لم التفت إليه أبداً أو أبادله عاطفته.

— انك محقّة في ذلك تماماً يا سيدتي!

— ولكنه لم ييأس.. وحاول بكل الوسائل الضغط عليّ لأخضع له فرفضت.. وهنا راح ينبش في ماضيّ.

ماجد: انهم جميعاً يفعلون ذلك.. وقد اكتشف الكولونيل « سيرجي » حقيقة مولدك ووالدك الألماني.. أليس كذلك؟

شحب وجه « ايفانا » وقالت : نعم.. وما لبثت الأمور أن زادت سوءاً.. فقد كنت على صلة بأخي « روجيه »، وكانت أمي قد نجحت في الاتصال به قبل اختفائها واستطاعت أن تربطنا معاً برسائل سرية تبادلناها حتى بعد اختفاء أمي..

وهكذا لم تنقطع الصلة بأخي طوال هذه السنين وتمكّنت من مقابلته عدة مرات في « أوروبا » عند سفري مع الفرقة، ومنذ أسابيع قليلة وصلتني رسالة من أخي عن طريق صديق ينبئني فيها أنه سيأتي إلى « موسكو » في مهمة سرية وأنه سيقيم في فندق قريب ويطلب مني مقابلته في ميعاد معيّن.

وصمتت لحظة ثم اضافت بوهن : وقد وقعت هذه الرسالة في يد الكولونيل « سيرجي ».

تساءل ماجد : وكيف علمت بمحتواها؟

— لقد أحضرها لي الكولونيل بنفسه كوسيلة للضغط عليّ لأتزوّجه بعد أن هدّدني بكشف أمري إلى السلطات مما كان يعني فقدي لجنسيتي وكافة حقوقي.

— حسناً.. وبعد؟

— استطاع « سيرجي » تعقّب أخي « روجيه » عند وصوله هنا وقام بسرقة جواز سفره ليمنعه من مغادرة « موسكو ».

— أتقصدين أن الكولونيل « سيرجي » كان يريد أن يبقى أخاك هنا رهينة حتى تتزوجي منه؟

عضت « ايفانا » على شفتيها وهي تقول : هذا صحيح.

ـــ ولكن الأمور تطوّرت بسرعة. واختفى « روجيه » أخوك أو قُتل.

تبلّلت عينا « ايفانا » بالدموع وقالت بمرارة: ليته ما جاء هنا. لقد أبلغ « سيرجي » رؤساءه بكل شيء عن أخي مما تسبب في القبض عليه في النهاية.

وسادت لحظات صمت، وأشعلت « ايفانا » سيجارة راحت تدخّنها ببطء وعيناها شاردتان.

وأفاقت من شرودها على كلمات « ماجد » وهو يقول: ان عدم دهشتك لمجيئي تدل على أنك كنت تعرفينني، لا أقصد معرفة شخصية ولكنك كنت تتوقّعين مجيء شخص يرتبط مجيئه بأخيك « روجيه » ومهمّته الخاصة التي جاء إلى « موسكو » لاتمامها.

ـــ نعم.

ـــ ولا شك أن « روجيه » قد سلّمك شيئاً خاصاً.. شيئاً هاماً جداً كأمانة لديك في حالَ تعرّضه لأي خطر وكان هذا سرّ بينكما.

حدّقت « ايفانا » في « ماجد » قليلاً واضطربت أهدابها وغمغمت: وكيف عرفت.. إن أحداً لم يعرف هذا السر أبداً.. ولا حتى الكولونيل « سيرجي ».

ـــ أنت مخطئة تماماً يا سيدتي.. كان الكولونيل « سيرجي » أول من عرف أن الميكروفيلم معك ولكنه لم يشأ اخبار رؤسائه حتى لا يعرّضك لمتاعب.. ولا شك أنه كان ينوي التخلّص مني ثم يعود ليحصل منك على الميكروفيلم ويقدّمه لرؤسائه بطريقة لا تُعرّضك للمتاعب ولكنه قتل أثناء المهمّة.. وذكر لي قبل موته اسمك.. وكان هذا كافياً لحلّ السر، وعندما فكّرت قليلاً في الأمر استطعت استنتاج قصة حب « سيرجي » لك بسبب معرفته بمكان حجرتك في المسرح ومواعيد حضورك وانصرافك وكل ما يتعلّق بك.. وهذا ما لا يفعله إلا عاشق ولهان.. كان هذا واضحاً في البداية، لقد كان مخلصاً لك في حبّه وقد استطاع حمايتك بالفعل.

تطلّعت « ايفانا » إلى « ماجد » ذاهلة، وقال ماجد : ان الكولونيل « سيرجي » لم يكن بالسوء الذي ظننتيه.. إن الحب يفعل الأعاجيب حتى لرجال المخابرات.. لقد أوقع « سيرجي » بأخيك وأبلغ عنه لأن هذا عمله ولكنه لم يذكر اسمك قط، أو يخبر أحداً أنك أخت « روجيه » أو أنك تملكين الميكروفيلم.

ـــ ولكن كيف استطعت الافلات منهم؟

ـــ هذه قصة يطول شرحها.. ولكن حسبك أن تعرفي أنهم

أتحفوني ببرنامجهم وأمتعوني بموسيقاهم العذبة وحجراتهم الموسيقية المكهربة!

هتفت « ايفانا » بدهشة : عمَّ تتحدّث؟

— ربما أشرح لك يوماً ما.. أما الآن فلا وقت لديّ.. انني أريد الأمانة التي تركها لك « روجيه ».

ضاقت عينا « ايفانا » وهي تقول : وكيف أعرف انك الشخص المطلوب؟

ماجد: ليس لديّ ما أبرهن به على صدق قولي.. ويكفي أنني أعرف كل شيء عنك ولم أنطق به إلى من يهمّهم الأمر في هذا البلد.

ومرت لحظات أخرى من الصمت.. وأخذت « ايفانا » تذهب وتجيء في الصالة الواسعة المليئة بصورها في ملابس البالية أثناء عروض الفرقة في كل مسارح العالم. كانت « ايفانا » عصبية.. وراقبها « ماجد » برهة بصمت وهي تدخّن سيجارتها بشراهة واصابعها ترتعش، ثم ألقى نظرة إلى ساعته وقال:

ليس لدي وقت كبير يا سيدتي.. ان كل رجال الأمن والشرطة في « موسكو » سيبدأون بحثهم عني خلال ساعات قلائل بعد أن يكتشفوا هربي من المستشفى.

التفتت « ايفانا » إلى « ماجد » واطفأت سيجارتها في مطفاة

ذهبية وقالت : انني مستعدّة أن أمنحك الميكروفيلم بشرط واحد.

تساءل « ماجد » بعيون ضيّقة : ما هو؟

ـــ أن تأخذني معك من هنا!

تطلّع « ماجد » إليها بدهشة وقال : لست أفهم يا سيدتي.. إن مكانك هو هنا وليس في أي مكان آخر.. هنا المجد والبريق والشهرة.. إن كثيرين يتمنون لو كانوا مكانك.

قالت « ايفانا » بمرارة : سيذهب كل ذلك.. سيضيع في غمضة عين.. سأصير واحدة من ملايين العجائز في هذا البلد ممن لا عمل لهم سوى التحسّر واجترار المرارة.. أرجوك.. لم يعد لي بقاء أو حياة هنا.. لقد منعوني من السفر ولن يتسنّى لي مغادرة هذه البلاد إلى الأبد وربما يكتشفون حقيقة أبي وأمي ولن يعلم مصيري بعدها إلا الله خاصة اذا عرفوا أنني كنت أخفي الميكروفيلم كل هذه المدة.. انني في خطر داهم هنا وأنت فرصتي الوحيدة لأن أبدأ حياتي مرة أخرى.. في مكان آخر بلا خوف.

وصمتت « ايفانا » وسادت لحظات صمت متوتّرة.. وأحس « ماجد » بصعوبة الموقف الذي عاد يتجدّد مرة أخرى..

غمغم ماجد : ولكن..

وفي هدوء أوقف كلماته ما قامت به « ايفانا » من عمل، فقد فتحت حقيبتها الصغيرة وأخرجت منها شيئاً صغيراً في حجم كبسولة الدواء وابتلعته قبل أن يدرك « ماجد » حقيقة ما قامت به.. وارتسمت ابتسامة يائسة فوق شفتيها وقالت:

لقد صار الميكروفيلم في جوفي وليس أمامك سوى طريقتين للحصول عليه.. إما أن تقوم باخراجي من هذه البلاد بوسيلة ما وفي جوفي ذلك الشيء الذي تسبّب في موت أخي وألحق بي كل هذه المتاعب، وإما أن تقتلني لتحصل عليه!

ضاقت عينا « ماجد » وهو يقول: ألا تخشين القتل؟

ردت بيأس: يتساوى بقائي هنا مع موتي.. وربما لو كنت أنت تابعاً لأي جهة مخابرات أخرى لكنت أُدرك خطورة ما أقامر به، فإن حياة إمرأة مسكينة وحيدة لا تعنيهم في شيء ولن يتوقّفوا أمامها طويلاً ليستشيروا عقولهم.. أما معك فأعتقد أن الأمر يختلف.. أخبروني بذلك عن العرب.. انهم قوم كرماء ذوو أخلاق ويحترمون آدمية الانسان، ولا يعتدون على السيدات الضعفاء، ولهذا فأنا أثق بك.

أحس « ماجد » بكلماتها تصل إلى قلبه مباشرة.. كان بوسعه قتلها والحصول على الميكروفيلم وفي مجال عمله يعتبر ذلك عملاً عادياً.. بل وربما ينال من يقوم به ترقية أو مكافأة أو حتى ميدالية

إذا ما عاد بالميكروفيلم، ولكنه أبداً ما كان يستطيع ذلك بأي حال مع إمرأة.

واقتربت منه « ايفانا » هامسة بقلق وتوتّر : لم اسمع ردّك.

وقبل أن ينطق « ماجد » وصل إلى أذنيه صوت حركة خفيفة في الحديقة، فقفز بخفّة إلى جوار الباب، وما كاد الباب يفتح وتبرز منه يد قابضة على مسدّس حتى هبطت ذراع « ماجد » بضربة قوية اطاحت بالمسدّس وسدّد بقبضته لكمة إلى وجه المهاجم ألقته خارجاً.

ودوت عدّة طلقات كاتمة للصوت شقّت الباب فصرخ « ماجد » في « ايفانا » : احتمي في أي شيء، إن هناك عدداً من المهاجمين.

هتفت « ايفانا » بذعر : من هم؟

رد « ماجد » وهو يحشو مسدّسه بالرصاص : لا أدري إلى أي جهة ينتمون.. ولكن من المؤكّد أنهم قد عرفوا أن الميكروفيلم معك وقد جاءوا للحصول عليه.

انهارت « ايفانا » وانفجرت باكية وهي تقول : لا فائدة.. سوف أموت هنا.. لن استطيع مغادرة هذه البلاد أبداً.

أمسك « ماجد » بمعصمها بقوة وقال وهو يحدّق في عينيها : منذ الآن يجب أن تثقي بي.. إما أن نغادر هذه البلاد سوياً.. وإما أن نموت معاً.

سرت الطمأنينة في ملامح نجمة الباليه الروسية، وظهرت في عينيها نظرة شكر عميقة وهي تحدّق في « ماجد » وتتفرّس في ملامحه، وفجأة اقتحم أحد المهاجمين باب الشقة وصرخت « ايفانا » ذعراً ولكن رصاصة انطلقت من مسدّس « ماجد » ألقت الرجل طريحاً فوق المدخل.

همس « ماجد » في ايفانا : لا تتحرّكي من مكانك سأعود حالاً.

وأسرع إلى الجهة الخلفية من الشقة وتسلّل عبر شباك المطبخ إلى الحديقة.. كان الظلام يسيطر على المكان فتسلّل محتمياً بأشجار الحديقة.. وشاهد شبحاً يقترب متلصّصاً، وبطلقة واحدة مكتومة ألقاه على الأرض.

وكان هناك شبح آخر على البعد.. وبطلقة محكمة من مسدّس « ماجد » ترنّح الشبح، ثم تهاوى قتيلاً بصوت مكتوم.

ولم يعد هناك مهاجمون آخرون.. وانحنى « ماجد » يفتّش أحد القتلى فوجد بداخل جيوبه تحقيق شخصية تابع لمخابرات الأعداء.

أسرع « ماجد » يحمل القتلى الثلاثة في الحديقة ويخفيهم داخل قبو منزل « ايفانا » التي سألته بذعر عما ينوي أن يفعل.

رد « ماجد » وهو يعيد ترتيب المكان : يجب أن تتركي المكان نظيفاً هنا حتى لا يشك أحد بك.. إن هؤلاء المهاجمين لحسن الحظ ليسوا تابعين للمخابرات الروسية وهذا يدلّ

على أن المطاردة الحقيقية لنا سوف تتأجّل قليلاً لأن الجنرال « بانشنكو » ورجاله لم يعلموا شيئاً عنك بعد.

وأكمل مهمته واندفع خارجاً فلحقت به « ايفانا »، واندس الاثنان داخل سيارة « ايفانا »، وأدار « ماجد » مفتاح السيارة فسألته نجمة الباليه بقلق بالغ : أين نحن ذاهبان؟

رد ماجد : إلى محطة القطارات.. ما هو أقرب موعد للقطار المتّجه إلى « لينينجراد »؟

ألقت « ايفانا » نظرة قلقة على ساعتها وقالت : بعد نصف ساعة بالضبط.

ضغط « ماجد » فوق دواسة البنزين وهو يقول : أرجو أن نلحق به.. إنه أملنا الوحيد فلست أشك أن الروس سيكتشفون اختفائي خلال وقت قصير وسيصبح هربنا أمراً مستحيلاً بعدها.

واندفعت السيارة تشقّ طريقها فوق الجليد وقد بدأت أولى خيوط الفجر تبدو في الأفق.

وغمغمت « ايفانا » متسائلة : هل سيسمحون لنا بمغادرة العاصمة؟

ماجد: إنهم يجهلون فراري حتى الآن.. وسيساعدنا هذا كثيراً.

وفجأة لمع أمامهم حاجز من الأضواء الكاشفة والسيارات تسدّ

الطريق، وكان هناك العشرات من رجال الشرطة والحرس السرّي وقد احاطوا بالطريق وأشاروا إلى سيارة « ماجد » بالوقوف.

هتف « ماجد » منزعجاً وهو يضغط فوق الفرامل : يبدو أنني كنت مسرفاً في التفاؤل.. لقد اكتشفوا هربي فأقاموا المتاريس والحواجز لمحاولة القبض عليّ.

وما إن توقّفت السيارة حتى أحاط بها عشرات من رجال الشرطة وقد صوّبوا مسدّساتهم نحو راكبيها.

° ° °

« الهروب الى لیننجراد »

أحس « ماجد » بقلبه يسقط بين قدميه، كان في موقف حرج دقيق، فبعد أن حصل على الميكروفيلم ها هو كل شيء يوشك أن يضيع في لحظة واحدة إذا انكشف أمره.. وهو الشيء المؤكّد في هذه اللحظة.

وفتح احد الضباط باب السيارة ملوّحاً بمسدّسه وهو يتحدّث في غضب باللغة الروسية، وفجأة اندفعت « ايفانا » تتحدّث مع الضابط بلهجة غاضبة، وعلا صوتها وشوّحت بيدها والضابط يستمع إليها بوجه شاحب قلق.. وعندما حاول الضابط مجادلتها علا صوتها وزادت عصبيتها وهي تتحدّث في غضب شديد.. وظهر التردّد على وجه الضابط ثم تراجع إلى الخلف، ومرت ثانية ظنّها « ماجد » دهراً كاملاً.. وبدا على الضابط التردّد لحظة، ثم أشار إلى رجاله فأفسحوا الطريق، وأشار الضابط إلى سيارة « ماجد » بالمرور، ولم يصدّق « ماجد » نفسه وانطلق بالسيارة.

الطريق، وكان هناك العشرات من رجال الشرطة والحرس السري

وارتسمت ابتسامة فوق شفتي « ايفانا » وتراخت في مقعدها، وهتف بها ماجد : لست أدري كيف أقنعت الضابط بمرورنا.. إن هذا يبدو عملاً مستحيلاً.

ردت باسمة : انهم لا يبحثون عني.. وليس هناك من لا يعرف « ايفانا بافلوفتش » في « روسيا ».. وعندما هدّدت هذا الضابط أن أشكوه لرؤسائه لمعاملته الوقحة واعتراضه سيارة نجمة « البولشوي » التي تريد أن تلحق بفرقتها في محطة القطار، فقد أبدى الرجل تفهّمه وخشيّ من تعنيف رؤسائه ومن العقاب بالنقل إلى أقاصي البلاد لمضايقة نجمة الباليه الأولى، وها أنت ترى أننا أحرار مرة أخرى.

قال « ماجد » باسماً : إن للشهرة مزاياها في هذه البلاد أيضاً.

قطبت « ايفانا » جبينها بقلق وقالت : إن سفرنا بالقطار إلى « لينجراد » سيستغرق نصف يوم على الأقل.. ولا شك أنهم سيكتشفون اختفاءك خلال هذا الوقت وسيكون أول ما يبحثون فيه هو القطار المتّجه إلى « لينجراد ».

هز « ماجد » كتفيه قائلاً : هل لديك اقتراح آخر؟

ظهرت الحيرة على « ايفانا » وغرقت في الصمت.. فأي خطة هرب يمكن أن تقترحها راقصة باليه لم تجرّب الهرب في عمرها أبداً؟

توقّف « ماجد » بالسيارة أمام محطة القطار، وهتفت « ايفانا » به بصوت خفيض : انتظرني هنا.. سأبتاع تذكرتين.

ماجد: لا حاجة بك إلى تذكرتين.. فأنا لست محتاجاً إلى تذكرة للسفر.

تساءلت بحيرة : وكيف ستسافر اذن؟

رد « ماجد » بغموض : إن لرجال المخابرات طرقاً عديدة في توفير مصاريف السفر.. لا تشغلي بالك بي.

تساءلت مرة أخرى بقلق : ألن ترافقني في مقصورتي بالقطار؟

ضاق حاجبي « ماجد » وهو يقول : سيكون هذا ضرباً من البلاهة.. انهم يبحثون عني لا عنك، وإذا ما أمسكوا بي معك فستكون نهايتنا سوياً.. أما إذا قبضوا عليّ وحدي فسيمكنك مغادرة البلاد اذا ما أغلقت فمي عن أي ذكر لك بشرط أن تعديني بأن يصل الميكروفيلم إلى حكومة بلادي في النهاية.

غمغمت « ايفانا » بصوت متأثّر والدموع في مقلتيها الجميلتين : إنني أعدك.

نطق « ماجد » باخلاص : وأنا أعدك ألا أفتح فمي بكلمة واحدة عنك في حال القاء القبض عليّ.. إن ما يهمني هو وصول الميكروفيلم إلى بلادي.